بحث
٦

الرشوة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس
(١٠٩٥ - ١١٨٧ م / ٤٨٨ - ٥٨٣ هـ)

للدكتور

حسن عبد الوهاب حسين

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

يتناول هذا البحث ظاهرة " الرشوة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام – منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس " أى منذ عام ١٠٩٥ م / ٤٨٨ هـ حين قام البابا أربان الثانى بالدعوة للحروب الصليبية وحتى نجاح صلاح الدين الأيوبى فى استرداد بيت المقدس فى عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ وأعقب ذلك انتقال حاضرة هذه المملكة الصليبية الإسمية إلى عكا فيما بعد وقام مجتمع صليبى له نمطه الجديد . ولاشك أن هذا المجتمع الصليبى فى بيت المقدس خاصة وفى بلاد الشام عامة أصبح له عاداته وتقاليده الإجتماعية التى ميزته عن المجتمع الأوربى السابق ، بل أصبح المؤرخون يفرقون بين الصليبيين القدامى والوافدين الجدد " الغرباء " . ويقول فوشيه دى شارتر " نحن الذين كنا غربيين أصبحنا الآن شرقيين بمعنى الكلمة " (١) .

وعلى الرغم من إدعاء المصادر اللاتينية بأن الحروب الصليبية هى تكفير لذنوب المشاركين فيها وفرصة لضمان الخلاص يوم القيامة ، إلا أن واقع الحال يخالف ذلك تماماً . فقد راود الجميع أحلام الثراء سواء أكانوا من الفرسان الذين يحملون قيم الفروسية أو من الفقراء الذين وقعوا فى شباك الطمع الدنيوى . وسيطرت هذه الأطماع المادية على الجميع وسعوا إلى تحقيقها بشتى السبل والوسائل . لذا شاع استخدام الرشوة فيما بينهم ومع من تعاملوا معه . ويعلق أحد المعاصرين على ذلك بقوله : " وقد خالف هؤلاء الصليبيون تعاليم المسيح باعتراف الجميع وفاق حبهم للمال حبهم للعدل الإلهى " (٢) .

---

(١) Fulcher of Chartres , A History of the expedition to Jerusalem 1095 - 1127 , Tras. by Frances Rita Ryan , Knoville , 1969 . P. 271 .
وتوجد له ترجمة عربية للدكتور زياد العسلى : تاريخ الحملة إلى القدس ، عمان الأردن ١٩٩٠ . وفضلنا استخدام النسخة الانجليزية للهوامش والتعليقات الموجودة بها .

(٢) جوناثان ريلى – سميث : الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ، ترجمة د. محمد فتحى الشاعر ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٥٩ .

وعندما وصلت هذه الجموع إلى القسطنطينية ازداد هذا الجشع وذلك عندما رأوا أمام أعينهم بريق الذهب والأموال وكنوز بيزنطة الأخرى ، وعرف الأباطرة البيزنطيون كيف يتعاملون مع هؤلاء الرعاع فاستعانوا بالمال والهدايا للتأثير عليهم ونجحوا في ذلك نجاحا بعيدا . وأدرك السلاجقة أيضا الأطماع المادية التي حركت هذه الجموع وتمكنوا من استغلال هذا الفهم في كثير من المعارك لصالحهم . وتعلق آنا كومنين على ذلك بقولها " لقد كان لرنين المال صدى عجيباً عليهم .... وكانت تثيرهم كلمات " الغنائم ، والتقسيم " (٣) .

وكلما اقتربوا من الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً كما وعدهم البابا أربان الثاني شاعت بينهم الفكرة " اليوم سنصبح كلنا أغنياء بمشيئة الله " (٤) وأصبح المثل الأعلى بين قادتهم " من يستطع الحصول على أكثر فليحصل ، ومن يستطع أن يأخذ أكثر فليأخذ " (٥) وعقب نجاحهم في تكوين أول إمارة صليبية لهم في الرها عام ١٠٩٧ م / ٤٩٠ هـ ، استطاعوا الاستيلاء على إمارة ثانية هي إمارة أنطاكية في عام ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ وقد لعبت الرشوة دوراً أساسياً في قيامها .

أما هذا المجتمع الجديد الذي تكون عقب سقوط بيت المقدس في قبضتهم عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ فيذكر فوشيه دي شارتر وصفا له بقوله " والذين كانوا لا يملكون درهما واحدا هناك (أي في الغرب) أصبحوا يمتلكون قطع الذهب التي لا تقع تحت حصر ..... فلماذا إذن نعود إلى الغرب مادام

---

(٣) The Alexiad of Anna comnena, trans. from the Greek by E.R.A. Sewter, Penguin Books, 1982, P. 312.

(٤) رالي سميث : المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين ، موسكو ١٩٨٦ ، ص ٧٩ .

الشـرق يفى تمامـا برغباتنا ومطالبنا ؟ " (٦) وفى ضـوء هذه الأطماع المادية انتشرت الرشوة فى تعاملات هـذا المجتمع بأقسامـه المختلفـة ، ولعبت دورا خطيرا فى تقرير كثير من معاركه وأحداثه . وعلى الرغم من ذلك فلم يحظ هذا الموضوع باهتمام المؤرخين الحديثين فى الشرق أو فـى الغـرب علـى حد سواء ، مع أنه يمس جانباً هاماً من حياة الصليبيين وقيمهم ومثلهم فى المجتمع .

وفى حقيقة الأمر فإنه لايوجد بحث قائم بذاته تناول هذا الموضوع فـى هذه الفترة الزمنية مدار البحث . وإن قام الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق بالكتابة عن البذل والبرطلة زمن سـلاطين المماليك فـى فترة لاحقة تبعد عن الفترة التى أتناولها كثيرا ومع ذلك فقد أفادنا البحث فى بعض الجوانب . وقـد اعتمدت على مصادر الحروب الصليبية سواء العربية أو اللاتينية أو اليونانية أو العبرية لاستخلاص هذه الدراسة مع عقد مقارنة فيما بينها بغية الوصول إلـى دراسة وافية لهذه الظاهرة وبهدف الوصول أيضا إلى الحقيقة التاريخية فى هـذا الموضوع .

وأخيرا أرجو من الله أن أكون قد وفقت فى تقديم دراسة جديدة تتناول الأبعاد الاجتماعية لهذا المجتمع من خلال دراسة هذه الظاهرة والتى لاشك أنهـا كانت أحد العوامل التى أدت إلى انهياره .

والله الموفق ،،

دكتور/ حسن عبد الوهاب حسين

---

(٦) Fulcher of Chartres, op. cit., P. 271- 272.

أطلق المؤرخون اللاتين مصطلحات متعددة على الرشوة . فقد ذكر ريموندا جيل " الرشوة " مباشرة عندما أتهم المبعوثين اللاتين بأنهم تلقوا " رشوة " من الأمبراطور البيزنطى ألكسيس كومنين (٦م) . أما المؤرخ وليم الصورى فقد استخدم نفس الكلمة فى مناسبات كثيرة ، وأوردها أيضا بمعنى " الهدايا والهبات " (٧) وأورد ألبرت داكس " الهدايا والوعود الجزيلة " للدلالة على الرشوة أيضا . (٨) وكذلك فى الوثائق اللاتينية الأخرى . (٩) وفى وثيقة رقم ٨٣ التى نشرها رورشت ورد مصطلح لاتينى آخر للرشوة هو " Pollutus Sit " بمعنى " أفسدت ذمته " (١٠) واستخدم وولترماب رئيس شمامسة أوكسفورد والكاتب الساخر تعبيرا آخر كناية عن دفع الأموال والرشوة فيقول " أن الليدى بيرس Lady Purse - أى محفظة النقود - هى التى غزت روما ". (١١) و ذلك عندما هاجم قرارات المجمع الكنسى الثالث فى عام

(٦م) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة د. حسين عطية ، الإسكندرية ١٩٩٠، ص ٧٠ .

(٧) وليم الصورى : تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، نقله إلى العربية وقدم له د. سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠ ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ وغيرها .

(٨) Albert d'Aix , Historia Hierosolymitana , in RHC , H. - Occ. T. IV, Paris , 1879, P.700 .

(٩) de Roziere , E. ed , Cartulaire de l'Eglise du Saint-Sepulcre de Jerusalem , Paris

(١٠) Rohricht. R. , Regesta Regni Hierosolymitani , 2 vols. Innsbruck , 1893 - 1894 , I. no. 83.

(١١) رالى سميث : الاسبتارية وفرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص ، ترجمة صبحى الجابى ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

١١٧٩ م [١٢] . أما شـراء المناصب الدينية عن طريق الرشـاوى فقد أطلق عليه " السيمونية " وهي نسبة إلى سيمون السـاحر اليهودي الذى أراد شـراء هبة الخوارق والإتيان بالمعجزات من القديس بطرس فقال له " لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم " [١٣] .

أما الوصول إلى المناصب الدينية في الكنيسة الشرقية فقد استخدم فيه مصطلح آخر للدلالة عليه وهو " الشرطونية " فيذكر ابن لقلق (كيرلس الثالث) " وكان من الأساقفة من يزن المايتي دينار وأقل إلى المائة دينار والفقير والصاحب خمسين دينار " .... " وكانت قضية مستنكرة إلا أنها قد شاعت وذاعت وعرفت وألفت " [١٤] .

وأوردت مصادرنا العربية المصطلح بمعان عديدة ، فذكره سبط ابن

---

(١٢) حضر وليم الصورى هذا المجمع مشيرا إلى حضور ثلثمائة أسقف فى بابوية الاسكندر الثالث ، وذلك فى اللاتيران وبعد من أكبر المجامع الكنسية لعدة قرون . وألف وليم الصورى كتابا خاصا عنه ولكنه لم يصلنا . أنظر وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ١٠٠٩ .

(١٣) سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الثامن ، ١٨ - ٢٠ ، وكذلك : نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، جـ ١ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٤٥٠٢ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى ، ٢ جـ ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٤٢ .

(١٤) ابن العميد (المكين جرجس) : تاريخه - نشره كلود كاهن تحت عنوان : تاريخ الأيوبيين فى :

B.E.O , vol. 15 , 1955 - 1957 , P. 142 .

كيرلس الثالث (ابن لقلق) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، نشر د. انطون خاطر ، ود. ازولد بورمستر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٦٩ .

الجوزى بقوله " أخذ الرشا " [١٥] ، وكذلك العماد الكاتب " فكل من رشا مشا " [١٦] ، واستخدم ابن العديم لفظ المصانعة " فصانعوه على مال " " وصانعه واليها على سبعة آلاف دينار " وهو كناية عن الرشوة [١٧] . وارتبط أيضا مصطلح آخر بالرشوة وهو العطايا والهدايا ، فيقول أبو شامة " السلطان يكرمها ويهدى إليها أنفس الهدايا " [١٨] ، وابن واصل " وواصله بالهدايا والتحف " [١٩] ، ويعتبر صلاح الدين تقديم الرشوة نوعاً من الخضوع

---

(١٥) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ ٨ ، ق ١ ، حيدر آباد ، ١٩٥١ ، ص ١٨٧ .

(١٦) فى أبى شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ جـ فى مجلد - بيروت - بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٩٥ - وأنظر مادة رشا وأصله من الرشاء الذى يتوصل به الى الماء - ابن منظور : لسان العرب ، ١٥ جـ - دار صادر بيروت بدون تاريخ ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٢

(١٧) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ جزء - تحقيق سامى الدهان - دمشق ١٩٥١ ، ص ٦٠٢ . والمصانعة أن تصنع لغيرك شيئا ليصنع لك آخر مقابله ، كناية عن الرشوة . أنظر المعجم الوسيط ، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون ، اسطنبول ١٩٨٦ ، ص ٥٢٦ .

(١٨) الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(١٩) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٥ أجزاء : الأول - الثالث تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، الجزءان ٤ - ٥ تحقيق د. حسنين ربيع القاهرة ١٩٧٢ - ١٩٧٧ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

فيقول " بلغني حديث الهدية المؤذن بذل الإسلام [٢٠] ، وارتبط بنفس المعنى الوعود " وعدهم بالعطاء الجزيل " ، " فوعدهم الوعود الجميلة " [٢١] ، وهذه المعاني وغيرها دلت من سياق الأحداث التاريخية على الارتباط المباشر بمعنى الرشوة والتي سنلاحظها عبر صفحات هذا البحث بإذن الله تعالى .

أما موقف الإسلام من الرشوة فهو واضح تماما ، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الثلاثة : الراشي والمرتشي والرائش أي الوسيط بينهما [٢٢] . وفي سفر أعمال الرسل رفض بطرس الرشوة ، ولكن الكنيسة عانت معاناة خطيرة من هذا الداء الخطير الذي أدى إلى وصول كثير من الفاسدين إلى المناصب الدينية المختلفة . وقبيل قيام الحروب الصليبية بذل البابا جريجوري السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) كل ما في وسعه لتخليص الكنيسة ممن وصل إلى منصبه عن طريق السيمونية أو الرشوة . أما بعد قيام

---

(٢٠) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

(٢١) ابن واصل: المصدر السابق ، جـ١، ص١٢٣ - ١٢٤ ؛ ابن القطان : نظم الجمان ص٢٤ - ٢٥ .

(٢٢) ابن منظور: المصدر السابق ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٢ ، وكذلك أحمد عبد الرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص٢١ . وما حرمه الإسلام هي تلك الرشوة التي تعطى لقضاء مصلحة ، أو لإحقاق باطل أو إبطال حق .

الحروب الصليبية فظلت المشكلة قائمة لاستغلال الإمبراطور لهؤلاء المفصولين للبقاء إلى جانبه فى صراعه ضد البابوية إلى أن تم عقد إتفاقية ورمز فى عام ١١٢٢ م وبموجبها تم حل هذه المشكلة [٢٣] . أما فى قوانين الجماعات الرهبانية العسكرية فهناك تفاوت فى عقوبة المرتشى بينها . فلدى جماعة الداوية يعاقب " بالطرد من الجماعة " وفى الأسبتارية " فقدان الرداء " أما الجماعة الألمانية فتراوحت بين العقوبتين ولذلك " إذا اقترف الأخ نفسه الرشوة أو تسبب فى إدخال شخص آخر يدخل إلى الجماعة من خلالها " [٢٤] وبالرغم من ذلك يعترف أحد مؤرخيهم بأنهم خالفوا تعاليم المسيح (عليه السلام) وفاق حبهم للمال حبهم للعدل الإلهى [٢٥] .

عقب دعوة البابا أربان الثانى للحملة الصليبية لم تنتظر جموع الرعاع والفلاحين وغيرهم الموعد الذى حدده فى خطبته ، واندفعت تلك الجموع فيما عرف بالحملة الشعبية وذلك فى ابريل ١٠٩٦ م متجهة صوب الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً . وكانت بقيادة والتر المفلس وبطرس الناسك حيث وصلت إلى القسطنطينية . وعلى الرغم من نصائح الإمبراطور البيزنطى الكسيس كومنين لهم إلا أنهم لم يلتزموا بها وأعماهم الطمع والجشع ، وأدرك السلاجقة هذه الطبيعة فى هؤلاء القوم فأشاعوا بينهم أن زملاءهم قد استولوا على ثروة وأنهم مشغولون بتقسيم الذهب والأموال وغيرها من الكنوز . وتعلق أنا كومنين على ذلك بقولها أن السلاجقة كانوا يعرفون " مدى حبهم للمال " وكيف أن

---

(٢٣) Stephenson , C. , Mediaeval History , New York 1951 , P. 227 .
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص٣٤٦ - ٣٦٧ ؛ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى وحضارتها ، الإسكندرية ١٩٨٨ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢٤) Sterns.L. , Crime and punishment among the Teutonic knights, Specium , vol. 57 , 1982 , P. 91

(٢٥) رالى سميث : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

كلمات الغنائم والمال والأنصبة تربكهم لمجرد سماعهم بها[٢٦] . فاندفع هؤلاء للحصول على نصيبهم من الثروة وكانت نهايتهم المفجعة عند نهر دراكون فى اكتوبر ١٠٩٦ م / شوال ٤٨٩ هـ وذلك لجشعهم وطمعهم[٢٧] .

تحركت الحملة النظامية فى حوالى ١٥ أغسطس ١٠٩٦ م / ٢٢ شعبان ٤٨٩ هـ وذلك على عدة أقسام حسب التقسيم اللغوى والجنسى والاقطاعى . وسرت شائعة فى أوروبا بأن هذه الجموع سوف تنتقم من اليهود وتهدر دمهم ، فسارعت الجاليات اليهودية فى المدن المختلفة بتقديم رشاو إلى قادة هذه الحملات . وقدرها ألبرت داكس بخمسمائة قطعة من الفضة وهدايا عينية أخرى[٢٨] . أما رالى سميث فيعتقد بأن موظفى الابرشيات من سكان المدن هم الذين حصلوا على هذه الرشاوى لتقديم الحماية لليهود ولكنهم لم يقدروا على ذلك أمام الجشع الصليبى لابتزاز هؤلاء اليهود[٢٩] .

---

(٢٦) Anna , P. 312 .

(٢٧) عن تفصيلات الحملة الشعبية أنظر : جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين فى الحملة الصليبية الأولى ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١٥١ - ١٧٠ . والملاحق المترجمة من المصادر فى نهاية الكتاب نفسه .

(٢٨) Albert d'Aix , op. cit. , PP. 291 - 292 .

ويشير رانسيمان إلى رشاوى أخرى إلى أمنج كونت لايزنجن عبارة عن سبع قطع من الذهب ، ومائتى قطعة من الفضة إلى رئيس الأساقفة وحاكم ماينز - ولكنها ذهبت هباءاً . أنظر رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية - ترجمة د. السيد الباز العرينى بيروت ١٩٨١ ، ص ٢١٣ .

(٢٩) الحملة الصليبية الأولى ، ص ٥٩ ؛ قاسم عبده قاسم : الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١١٩ - ١٢١ ؛

Anna Sapir Abulafia , Invectives against Christianity in the Hebrew Chronicles of the First crusade , in Crusade and Settlement , Cardiff 1985 , PP. 66 - 67 .

كان ذلك أول إتهام بالرشوة ، ويوجه ريموناجيل إتهاما آخر للمبعوثين الصليبيين الذين أرسلهم ريموند الصنجيلي لمقابلة الامبراطور البيزنطي ، فيذكر أنهم عادوا بوعود وردية وكان السبب في ذلك هو " رشوة الامبراطور لهم " وذلك في ١٨ ابريل ١٠٩٧ م[٣٠] . وربما يكون هذا الاتهام صحيحا فقد وجد الكسيس نفسه أمام حشود هائلة يدفعها الجشع والطمع فقرر استخدام سلاح المال والرشوة معهم ، وعندما وصل هيوكونت فرماندوا - أخو ملك فرنسا - أغدق عليه " الهدايا " ليقسم يمين الولاء له[٣١] . أما جودفرى فقد أهداه " ثياب حريرية ومؤن وخيول " وشارك الإمبراطور في مأدبة فاخرة أعدت له وأمر بأن يتم توفير الإمدادات اللازمة له[٣٢] . كذلك أدرك تنسية بوهمند النورماندى فأمر بأن يدخل إلى غرفة مليئة بكل أنواع الثروات من ملابس وذهب وفضة وغيرها حتى وأنها لم يبق فيها موضعاً لقدم ووهب له جميع ما فيها ، وعلى الرغم من تردد بوهمند الذى كان يخشى البيزنطيين وهم يقدمون الهدايا - إلا أن الرشوة أثمرت وأقسم يمين الولاء والتبعية للامبراطور البيزنطي[٣٣] .

وتؤكد المصادر الأخرى رواية المؤرخة البيزنطية ، فيذكر ألبرت داكس أنه تم إحضار هدايا من كافة الأنواع من خزينة الإمبراطور : ذهب وفضة وكل ماله قيمة ، إضافة إلى الخيول وغيرها[٣٤] ويؤكد الكونت أتيين في خطابه إلى زوجته أن الإمبراطور غمر الجميع بالهدايا والمنح ، وكذلك فعل

---

(٣٠) ريموناجيل : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣١) Anna , P. 315 .

(٣٢) Ibid , P. 323.

(٣٣) Ibid , P. 328.

وكذلك : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٣١٧ - ٣٢٨ .

(٣٤) أنظر نص روايته في : قاسم عبده : الحروب الصليبية ، ص ١٦٣ .

مع فرسانها ، وأطعم جميع الفقراء [٣٥] . وقد أدركت أن كومنين أن والدها عرف طباع هؤلاء القوم - فكانت الرشوة هي السبيل إلى قلوبهم وعقولهم " وبهذه الطريقة ومن خلال المال والنصيحة الطيبة ، بذل الكسيس الكثير لكي يهذب من طبيعتهم الشرسة " [٣٦] .

وبعد أن نجح الإمبراطور البيزنطي في الحصول على قسم الولاء من هؤلاء القادة ، عمل على أن ينفذ الجزء التالي من خطته وهي استرداد المدن البيزنطية التي كانت تابعة له في آسيا الصغرى وبلاد الشام ، فاستمر في استخدام الرشوة ، فقد وعد بإعطاء الصليبيين جميع ما في نيقيه من ذهب وفضة وخيول وغيرها ، وسيعطي كل فرد بسخاء مما يجعلهم يتمنون خدمته مدى حياتهم .... [٣٧] . كانت هذه رشوة الإمبراطور أمام نيقيه قبل حصارها في ٦ مايو ١٠٩٧ م . ويعلق ريموناجيل على ذلك بأن الإمبراطور تصرف بعدها بجحود واتهم بالخيانة [٣٨] . ويخالف كثير من المؤرخين اللاتين ريموناجيل معترفين بأن الكسيس غمرهم بالهدايا والأموال والذهب والفضة والثياب ووزع قطعاً من النحاس على المشاة [٣٩] ، وسقطت نيقيه في أواخر يونيو ١٠٩٧ م بعد أن نجح الإمبراطور أيضا في رشوة عدد من الأتراك بها ووعدهم " بمبالغ كبيرة من المال والمكافآت والعطايا السنوية " [٤٠]

---

(٣٥) نص ترجمة الخطاب في : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٣٢٩ .

(٣٦) Anna , P. 329.

(٣٧) ريموناجيل : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣٨) نفسه .

(٣٩) أنظر : Fulcher of Chartres , PP. 79 - 80.

وكذلك خطاب أتين إلى زوجته أديل : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٤٠) Anna , PP. 340 - 341.

ومرة أخرى ينجح الإمبراطور البيزنطى فى الحصول على قسم الولاء من بوهمند من القادة بعد أن رشاهم بالأموال ، خاصة بوهمند الذى كان لديه شهوة جامحة نحو المال (٤١) وكانوا جميعا على استعداد لبيع زوجاتهم وأطفالهم مقابل أى مبلغ زهيد من المال (٤٢) .

وعقب معركة ضورليوم فى أول يوليو ١٠٩٧ م بدأت أطماع القادة الصليبيين فى الازدياد وأخذ كل منهم يخطط من أجل تحقيق مصالحه الشخصية وانفصل بلدوين عن الجيش الرئيسى حيث توجه إلى الرها التى كان يحكمها ثورس الأرمينى ، وعلى الرغم من تبنيه لبلدوين إلا أن ذلك لم يشفع له حيث وجهت إليه تهمة رشوة الأتراك للتخلص من معارضيه - وعبثا حاول الاستغاثة ببلدوين وقدم إليه رشوة من " مرمر وأوان ذهبية وفضية ونقود لا تحصى " إلا أنه تم إغتياله . ويوجه البعض إتهاما إلى بلدوين بالإشتراك مع زوجة ثورس للتخلص منه لكى ينفرد بحكم الرها (٤٣) .

أخذت الغيرة تشتد بين الأمراء الصليبيين بعد نجاح بلدوين فى إقامة أول إمارة صليبية فى الرها ، وازدادت الصراعات فيما بينهم أمام أنطاكية التى وصلوا إليها فى أكتوبر ١٠٩٧ م . وعقب نجاحهم فى الاستيلاء على أحد الحصون المؤدية إليها عرض ريموند الصنجيلى رشوة على الفرسان ليقبلوا

---

(٤١) Ibid , P. 340.

(٤٢) Ibid , P. 336.

(٤٣) اختصر فولشيه هذه الأحداث على الرغم من أنه كان شاهد عيانا لها . وتم قتل ثورس فى ٩ مارس ١٠٩٨ م . للمزيد أنظر : Fulcher of Charters , P. 90.

وليم الصورى : المصدر السابق ، ص٢٦٦ - ٢٦٩ Albert d'Aix , PP. 354 -355

وكذلك : محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها الإسكندرية ١٩٩٠ ، ص ١٠٨ .

حمايته لها وتشييد قلعة المحمرية أو المنبر وذلك فى ٢٠ مارس ١٠٩٨ م . وأثناء ذلك لم يسلم حتى شهداء المسلمين من جشع الصليبيين الذين اندفعوا إلى هذه القبور يبحثون عن الذهب والأموال وغيرها من الكنوز المدفونة فيها كما يدعى تيدبوده (٤٤) .

وكما نجح بوهمند فى تدبير مؤامرته للتخلص من القائد البيزنطى تاتيكوس لكى ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية ، فقد سعى لكى تكون أنطاكية له دون بقية الأمراء الطامعين (٤٥) . ووجد ضالته المنشودة فى ذلك الخائن فيروز الأرمينى الذى كان يتولى حراسة برج الأختين (٤٦) وأجمعت المصادر على أن بوهمند رشا فيروز ولكنها اختلفت فى هذه الرشوة ، فيذكر تيدبوده " أملاك كثيرة " (٤٧) ويضيف وليم الصورى " وامتيازات واسعة " لـه ولورثته (٤٨) أما كفارو الجنوى فيشير إلى " هدايا نفيسة من الثياب الفاخرة والأوانى الذهبية والفضية " (٤٩) وتتفق المصادر السريانية مثل المؤرخ

---

(٤٤) ريموندأجيل : المصدر السابق ، ص ١٠٨ ؛

Tudebodus , Petrus , Historia de Hierosolymitano itinere , Trans. J.H. Hill and L.L. Hill , Philadelphia , 1974 . P. 57 .

ويبرر ريموندأجيل هذا العمل بأنه كان لاستخراج الجثث حتى لا تعوق الروائح العمل فى بناء القلعة على الرغم من اعترافه قبل ذلك أن خفائم الأدراك هى التى أثارت رجالنا لذلك العمل . وعن بناء القلعة أنظر ح (١٨) ص ١١٦ .

(٤٥) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١١٦ .

(٤٦) نفسه ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٤٧) Tudbode , op. cit. , PP. 61 - 63.

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٤٩) Caffaro de Cashifelone De Liberatione Civitatum Orientis Libers , in RHC. H. Occ. vol. V , P. 52 .

السريانى المجهول وميخائيل فى خيانة فيروز ورشوته [٥٠] . أما مصادرنا العربية فنجد ابن الأثير يحدد أنهم " بذلوا له مالاً وإقطاعاً " [٥١] . ويذكر ابن العديم أن فيروز هو الذى طلب ذلك دون أن يحدد ما طلبه " أنا أسلم إليك أنطاكية إن أمنتنى وأعطيتنى كذا وكذا " [٥٢] .

واختلفت المصادر حول الدافع الذى جعل فيروز يقبل الرشوة ، فيذكر ابن القلانسى أن ذلك يرجع إلى مصادرة ياغى سيان حاكم أنطاكية السلجوقى لأموال وغلة فيروز [٥٣] ، وينقل ابن العديم نفس الرواية [٥٤] . أما وليم الصورى فيذكر رواية مختلفة مفادها أن ذلك يرجع إلى خيانة زوجة فيروز ورأها ابنها الذى نقل ذلك إلى والده فعمل على الانتقام من الأتراك [٥٥] . والى جانب إنفراده بهذه الرواية التى لم ينقلها أحد من المعاصرين ، فإن وليم يذكر القصة بعد أن بدأت الاتصالات بين بوهمند وفيروز ، وفى النهاية نجحت خطة بوهمند واستطاع تحقيق هدفه المنشود باقتحام أنطاكية فى ٣ يونيو ١٠٩٨ م / ١ رجب ٤٩١ هـ وذلك عن طريق الرشوة ودون خسائر كبيرة مما كان له أكبر الأثر على مواصلة تقدمهم ومواجهة رد الفعل الإسلامى .

---

(٥٠) Anonymous Syriac Chronicle (ed. A.S. Tritton) in J.R.A.S., London 1933, 2 vols, P. 66; Michel Les Syrien, Chronique, ed, en Francais, Par JB. Chabot, 4 tomes, Paris 1899 - 1924. P. 184.

(٥١) الكامل فى التاريخ ، ١٠ أجزاء ، بيروت بدون تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٤ .

(٥٢) زبدة الحلب ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

(٥٣) ذيل تاريخ دمشق ، نشر وتحقيق د. سهيل زكار ، دمشق ١٩٨٣ ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

لم يتبق سوى سوى قلعة أنطاكية التى أصبحت فى حوزة أحمد بن مروان أحد أتباع كربوغا ، وقد اختلفت المصادر حول موقفه ، فبينما تدعى المصادر اللاتينية أنه تمت رشوته هو الأخر وتنصر هو وجماعة معه وسمحوا للباقى بالخروج (٥٦) . أما ابن العديم فيذكر أنهم أنزلوه فى دار بأنطاكية وخرج بقية أصحابه إلى حلب فخرج عليهم الأرمن ولم يسلم منهم إلا القليل (٥٧) . وتشير المصادر العربية المتأخرة زمنيا أنه كان ضمن الذين خرجوا من أنطاكية ولم يتنصر ويشير إلى ذلك كل من ابن شداد وابن عبد الظاهر " وسلم أحمد ودخل حلب " (٥٨) .

ظل الصليبيون فى أنطاكية حيث بدءوا فى مغادرتها فى ٢٣ نوفمبر ١٠٩٨ م لتحقيق أطماعهم وفى ٤ يناير ١٠٩٩ م عقدوا إجتماعا فى قلعة الروج قدم فيه ريموند رشاوى للقادة الأخرين تراوحت ما بين عشرة إلى خمسة الاف صولدى حسب مكانة كل منهم . وكان من بين الرشاوى أيضا جوادين عربيين من سلالة ممتازة قدمها إلى تانكرد . ويشير رانسيمان أن ذلك كان رشوة لهؤلاء القادة ، بينما يبررها جروسيه بأن ريموند كان يطمع فى نيل المساعدة من زملائه (٥٩) .

---

(٥٦) المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتعليق د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٩٦ ؛ Tudbode , op. cit , P. 89.

(٥٧) زبدة الحلب ، ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٥٨) الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق أن مارى آده ، منشور فى : B.E.O. vol. 32 - 33 , 1980 - 1981 , Damas 1982 , P. 310.
الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ ، ص ٣٢٠ .

(٥٩) حددت المصادر الثلاثة التالية الإجتماع فى قلعة الروج - أما هذه الشروط فذكرها ريموندا جيل : المصدر السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ح (١١) المؤرخ المؤرخ المجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ وكذلك رالى سميث : الحملة الأولى ، ص ٨٢ ؛ Tudbode , op. cit. , P. 102.

انهالت الرشاوى على الصليبيين فى أثناء توجههم نحو بيت المقدس ، فقدمت مدن شيزر وحماه وحمص أنواعا مختلفة من الهدايا مثل الذهب والفضة والحيوانات إضافة إلى إقامة أسواق لبيع ما يحتاجون إليه من مؤن وإمدادات وكذلك أدلاء لعبور نهر العاصى (٦٠) ونصح البعض ريموند الصنجيلى أن يتظاهر بحصار أحد الحصون حتى يحصل على رشاوى أيضا - فقرر محاصرة عرقة الواقعة على بعد ١٥ ميلا من طرابلس - ووصلت الأخبار إلى جودفرى وروبرت كونت فلاندرز اللذين سارعا بحصار جبلة - فحاول حاكمها رشوتهما بحوالى ستة آلاف قطعة ذهبية وخيول وبغال وكميات وفيرة من النبيذ ، ولكن جودفرى رفض ذلك فعرض الرشوة على ريموند بأن أرسل إليه رسلاً إذا نجح فى إقناع زملائه بفك الحصار . ويترك وليم الصورى الأمر معلقا لأنه يذكر " ويقال " أن الكونت قبل الرشوة سراً فأرسل إليهما بأن هناك جيشا إسلاميا على وشك الوصول إلى جبلة فتم رفع الحصار وذهبا إلى ريموند عند عرقة وعندئذ أخبرهما تانكرد بأمر خيانة ريموند وبالقصة كاملة ، وكان ذلك فى ٢ - ١١ مارس ١٠٩٨ م (٦١) .

وبعد أربعة أشهر تقريبا من حصارهم لعرقة قرر ريموند بعد الضغط عليه الإستجابة لأراء القادة الآخرين بضرورة ترك الحصار والانسحاب فى ١٣ مايو ١٠٩٩ (٦٢) ، وأثناء ذلك كان مبعوث الإمبراطور البيزنطى قد وصل فى ١٠ ابريل ١٠٩٩ م محاولاً تقديم رشوة جديدة للصليبيين ، فقد عرض عليهم تحمل الإمبراطور جميع أعباء الحرب ونفقاتها ، ومنحهم هدايا كثيرة وأجور سخية ومبالغ كبيرة من الذهب والفضة وذلك إذا تم انتظاره لكى يسير معهم إلى

---

(٦٠) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ ؛ Tudbode , op. cit. , P. 104.

(٦١) المصدر السابق ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، أما ريموندأجيل فذكر العرض المقدم من صاحب جبلة فقط دون أن يشير إلى قصة وليم . المصدر السابق ، ص ١٨٩ . Albert d'Aix , P. 453.

(٦٢) رانسيمان : المرجع السابق ، ص ٤٠٩ .

بيت المقدس فى أواخر يونيو ١٠٩٩ م [٦٣] ، وأبدى ريموند موافقته ، ولكن القادة الأخرين عارضوا ذلك ومن بينهم جودفرى وقرروا مواصلة المسير إلى القدس دون انتظار الإمبراطور .

وأمام طرابلس جرت محاولات جديدة لرشوة الصليبيين من فخر الملك بن عمار حاكمها - فقد ذكر تيدبوده أنه أرسل عشرة من الخيول وأربع بغال ومبلغا من المال دون أن يحدده [٦٤] ، ويؤكد وليم الصورى ذلك مناقضا ما سبق أن اتهم به ريموند الصنجيلى من أنه أشاع وصول القوات الإسلامية لكى يجعل جودفرى وروبرت يقدمان إليه عند عرقة . فقد ذكر أن إتفاقا نهائيا تم مع حاكم طرابلس بعد أن فشل وصول القوات إليه من خليفة بغداد مما يؤكد وجود هذه الأخبار . وتم عقد هذا الاتفاق مقابل رشوة ضخمة تضمنت تقديم ١٥ ألف بيزنط وخيول وبغال وملابس وإطلاق سراح الأسرى فى مقابل عدم تعرض مدن طرابلس وعرقة وجبلة لأية أخطار [٦٥] .

استمرت المدن الفاطمية فى تقديم الرشاوى للصليبيين أثناء تقدمهم إلى بيت المقدس ، فقدمت لهم بيروت وصيدا وعكا وقيسارية وأرسوف هدايا عديدة ، ومنها ما قدمه حاكم عكا " سوق حسب شروط جيدة " [٦٦] وحاولت هذه المدن إبعاد خطر الهجوم عليها ، ولكنها أيضا كانت تحذر بعضها من

---

(٦٣) ريموندأجيل : المصدر السابق ، ص ٢١٦ ؛ وليم الصورى : المصدر السابق ص ٣٩٤ - ٣٩٥ . أما آن كومنينا فلم تذكر المسير إلى بيت المقدس إلا مختصراً ولم تشر إلى السفارة البيزنطية . أنظر:

Anna , P. 352.

(٦٤) Tudbode , op. cit. , P. 106.

(٦٥) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ .

(٦٦) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

هذا " الجنس الفظ " كما وصفهم حاكم عكا فى رسالته (٦٧) .

انتهت هذه الحملة الصليبية الأولى بالاستيلاء على بيت المقدس فى ١٥ يوليو ١٠٩٩ م / ٢٤ شعبان ٤٩٢ هـ لتسطر واحدة من أبشع الجرائم التى تمت فى هذه المدينة المقدسة . ويعترف المؤرخون اللاتين أنفسهم بهذه المذابح التى لم ينج منها حتى النصارى الشرقيين الذين كانوا بها . فقد أعمى الجشع والطمع تلك الجموع ، ولم يسلم حتى الموتى من ذلك . ويعترف فوشيه دى شارتر ورادلف أوف كين بأنهم قاموا بإحراق الحثث بحثا عن الحلى أو المجوهرات وقطع آذان السيدات لأخذ ما بهن من ذهب (٦٨) .

وهكذا لعبت الرشوة دوراً خطيراً فى إحداث هذه الحملة منذ خروجها من أوروبا متجهة إلى بيت المقدس ، وساهمت فى كثير من وقائعها وأظهرت طبيعة هؤلاء القوم فيما بينهم وفى تعاملهم الآخرين معهم سواء من البيزنطيين أو السلاجقة أو حكام المدن الفاطمية مدركين جميعا أنهم يمكنهم عن طريق الرشوة بأنواعها المختلفة شراء هؤلاء القوم ، وذلك على الرغم من إدعاءات المصادر اللاتينية و تصوير هذه الحملة بأنها تمثل التضامن والتلاحم فى الصراع من أجل المثل الدينية العليا ، بل وإسباغ المثل العليا على قادتها – إلا أن ما قدمته لنا المصادر المختلفة يوضح كيف تغلب عليهم الطمع المادى والجشع ، وتصدعت تلك الصور الزائفة أمام بريق الذهب والفضة والهدايا

---

(٦٧) إنفرد ريموندا جيل بذكر هذه الرسالة – ويذكر أنها سقطت فى قبضة الفرنج حيث كانت معلقة فى رجل حمامة زاجلة . أنظر : المصدر السابق ، ص ١٢٢٥ ؛ حسن عبد الوهاب : قيسارية الشام فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٩٠ ص ٦٦ .

(٦٨) Radulph of caen , Gesta Tancridi siciliae regis in expeditione Hierosolymitana , in RHC. , H. Occ. vol. III , P. 397 , Fulcher of Charters , op. cit. , P. 122.

الأخرى . ولاشك أن ذلك سوف ينعكس على هذا المجتمع الذى تكون فى الأراضى المقدسة سواء فى مملكة بيت المقدس أو فى إمارات الرها وأنطاكية وطرابلس .

كان أول إتهام بالسيمونية - أى الوصول للمنصب الدينى بالرشوة - يوجه فى الأراضى المقدسة إلى دايمبرت البيزوى الذى تم إختياره بطريركا لبيت المقدس فى عام ١١٠٠ م ، ويوجه ألبرت داكس هذا الاتهام له وذلك عندما استخدم الأموال التى كان قد استولى عليها أثناء وجوده مندوبا بابويا عند ألفونسو السادس القشتالى فى عام ١٠٩٨ م (٦٩) . ولم تنته مشاكله عند ذلك ، بل تأزم الموقف مرة أخرى مع الملك بلدوين الأول الذى اصطدم مع البطريرك ووجه إليه إتهامات عديدة بحضور المندوب البابوى الكاردينال موريس أسقف بورتو الذى قدم إلى الشرق لهذا الغرض . وصحب بلدوين فى رحلته إلى القدس وضمن تأييده لسياسته . وعندما أصر بلدوين على موقفه شرع دايمبرت " يغريه ويرجوه ألا يعفيه من منصبه وهمس فى أذنه بتقديم رشوة مالية له " (٧٠) كما وافق على دفع رواتب أربعين جنديا ، ولكن عندما ماطل فى

---

(٦٩) تم عزل أرنولف أوف شاكو بطريرك بيت المقدس فى أواخر ديسمبر ١٠٩٩ م نتيجة إتهامات وجهت له . وكان دايمبرت مندوبا بابويا صحب الأسطول البيزوى الذى قدم إلى الشرق ، ورافقه فى الرحلة إلى الجنوب على ظهر هذا الأسطول بوهمند سيد أنطاكية وبلدوين سيد الرها . ويتهمه ألبرت بأنه استولى على كنوز ذهبى وأموال نقلها معه إلى الشرق واستعمال بوهمند وبلدوين . وكان دايمبرت أسقفا على بيزا عام ١٠٨٨ م وله خبرة طويلة وعلى قدر من التعليم .

أنظر :

Radulph of Caen , op. cit. , P. 704 , Albert d'Aix , op. cit , PP 511 -512

(٧٠) Albert d'Aix , op. cit. , PP. 539 - 540 .

تنفيذ وعوده قرر بلدوين عزله وتم إجبار مساعديه على الكلام فأقروا بوجود أموال تتراوح ما بين ٢٠ -٣٠ ألف بيزنط بخلاف الفضة التى يصعب وزنها . وأخذ الملك هذه الأموال ووزعها على جنوده ، ولم ينجح دايمبرت فى العودة على الرغم من صدور قرار بابوى له بذلك ، فقد مات فى مسينا بايطاليا فى يونيو ١١٠٧ م[٧١] .

حرصت المدن الفاطمية على تقديم رشاو مختلفة لبلدوين ملك بيت المقدس حتى تبعد خطره عنها ، وتنوعت ما بين القمح والفواكه والزيوت والجياد العربية الأصيلة وذلك إضافة إلى الأموال[٧٢] . وربما كانت رشوة حاكم قيسارية لجودفرى قد أودت بحياته ، فقد اتهمه المؤرخ متى الرهاوى بأنه دس السم فى طعام قدمه هدية له ، فمات ومعه أربعين شخصا . وعلى الرغم من أن بقية المصادر لا تؤكد هذه الرواية فقد أشار ألبرت داكس أنه قدم لهم طعاما بالفعل ولم يأكل جودفرى سوى تفاحة ومرض بعد ذلك[٧٣] . وقبل بلدوين أثناء رحلته من الرها إلى بيت المقدس هدايا قدمتها له المدن التى مر بها

---

(٧١) Ibid , PP. 540 - 548 ; Hamilton , B. , The Latin Church in the Crusader States , London 1980 , P. 55 .

وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ولكنه لم يعط لنا تفاصيل الخلاف .

(٧٢) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٤٦٥ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

Fulcher of Charters , op. cit. , P. 131 , Albert d'Aix , P. 515 , CF. also : Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Trans. from French by J. The latin Kingdom of Jerusalem , Trans. from French by J. Shirtey , 2 vols. Amsterdam , 1974 , P. 21 .

(٧٣) Mattheiu d'Edesse , Charonique (962 - 1136) in Bibiotheque Hostproaie Armenienne par Dulaurier , Paris , 1958 , P. 229 ; Albert d'Aix , P. 519 .

من الخبز والخمر والعسل وأكباش الضأن المطهية وذلك لضمان عدم عدوانه عليها . كما وافق بعد اعتلائه العرش على رشاوى أخرى قدمت له وذلك لحاجته إلى الأموال فى بداية حكمه [٧٤] . واستمر بلدوين فى سياسته الإبتزازية للحصول على رشاوى من هذه المدن إذا لم ينجح فى الإستيلاء عليها فعند حصاره لصور فى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م " صانعه واليها على سبعة آلاف دينار " فقبضها ورحل عنها [٧٥] . كذلك قدم له حاكم صيدا رشوة تراوحت ما بين ألفى إلى ستة آلاف دينار ومحاصيل من الكروم وذهبا وذلك لكى يفك حصاره عنها [٧٦] أما موقف حاكم عسقلان - شمس الخلافة - من دفع رشوة لبلدوين " وأهدى إليه مالاً وعروضاً " " واتفقا على مال " فقد أثارت المصادر العربية ذلك الأمر واتهمه المؤرخون بأنه كان " أميل إلى الموادعة والمسالمة " " وأرغب فى التجارة من المحاربة " . وعلى الرغم من أخذ بعض المراجع الحديثة برأى هذه المصادر العربية ، إلا أن هناك إشارة هامة أوردها فوشيه وألبرت وذلك عندما ذكرا أن الأسطول النرويجى رسا عند يافا وكانت هناك نية للزحف ضد عسقلان فلجأ حاكمها إلى استخدام الرشوة مع الملك الصليبى مما أنقذ المدينة من السقوط فى قبضة الصليبيين لأكثر من

---

(٧٤) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ ؛
Albert d' Aix , P. 542 .

(٧٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٧٦) Albert d'Aix , PP. 634 - 635 ;
ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٣١ . وكان ذلك فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م وذكر ألبرت أن ذلك المبلغ كان سنويا .

نصف قرن من الزمان تقريبا [٧٧] .

ونهجت صور نفس النهج السابق فقدمت لبلدوين سبعة آلاف قطعة ذهبية . وفى الحصار الذى إمتد من ٢٩ نوفمبر ١١١١ إلى ١٠ أبريل ١١١٢ م / ٢٥ جماد أول - ١٠ شوال ٥٠٥ هـ يذكر ألبرت داكس أن أهالى صور لجأوا إلى فارس صليبى إسمه رنفريد Reinfried لتأمين عبور قافلة لهم تحمل ودائعهم وأموالهم وذلك مقابل رشوته بمبلغ كبير من المال . ولكن الفارس قام بإخبار بلدوين الذى انقض على القافلة واستولى على ما بها من غنائم [٧٨] . وفى الواقع فإن رواية ألبرت هذه فيها مبالغة واضحة ففوشيه دى شارتر - وقد ذكر صراحة أنه كان مع الملك الصليبى فى هذه الحملة - لم يشر إلى هذه القصة [٧٩] ، كما أنها تختلف مع روايتين لابن الأثير وابن القلانسى ، فذكر الأول أن عز الملك صاحب صور أرسل أموالاً إلى طغتكين أتابك دمشق الذى أرسل اليه طاتراً يعلمه بوصوله مما ينفى رواية ألبرت عن اللجوء إلى الفارس الصليبى ، أما ابن القلانسى فذكر أنه فى عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م وصلت أنباء قافلة دمشقية متجهة إلى مصر وذلك عن طريق أحد العرب من

---

(٧٧) وصل هذا الأسطول فى أغسطس ١١١٠ م / محرم ٥٠٤ هـ وكان على ظهره سيجورد ملك النرويج . للمزيد أنظر :

Fulcher of chartres , op. cit. , PP. 199 - 200 ; Albert d'Aix , op. cit. , PP. 640 - 651.

ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٣٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية - ٢ جـ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣١١ رانسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٧٨) Albert d'Aix , op. cit. , PP. 690 - 693 .

(٧٩) Fulcher of Chartres , op. cit. , P. 203 .

بنى زريق الذى وقع بعض أفراد أسرته أسرى لدى الملك الصليبى فدله عليها مقابل إطلاق سراحهم (٨٠) .

ويشير وليم الصورى إلى أنه أثناء حصار صيدا فى عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ حاول أهلها رشوة أحد أفراد حاشية الملك بلدوين " ووعدوه بمبلغ كبير من المال وممتلكات واسعة فى المدينة " اذا خلصهم من الملك ، ولكن النصارى بها أخبروه بهذه المؤامرة وأعلموه سراً بالأمر فقام بالقبض عليه وتمت محاكمته وحكم عليه بالشنق (٨١) .

ومن أهم المؤثرات التى تركتها الرشوة فى هذه الفترة المبكرة على حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ، مقتل شرف الدين مودود بن ألتونتكين (٨٢) ويذكر متى الرهاوى وابن العبرى أن ظهير الدين طغتكين ، أفرج عن قاتل محكوم عليه بالاعدام ووعده " بالحرية والهدايا وخمسمائة قطعة من المال " إذا نجح فى مهمته (٨٣) ، ويذكر ألبرت داكس نفس الاتهام ولكنه جعلهم أربعة وعدهم " بالهدايا والوعود الجزيلة " (٨٤) ولكن المصادر اتفقت على أن شخصاً واحداً هو الذى قام بهذه الجريمة الشنعاء وذلك بتحريض من

---

(٨٠) الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٤٥ ؛ ذيل تاريخ دمشق : ص ٢٩١ .

(٨١) المصدر السابق ، ص ٥٤٢ . ويذكر أيضا أن هذا الشخص كان مسلما وارتد وأعطاه بلدوين إسمه وجعله فى حاشيته . ولم تشر المصادر الأخرى إلى ذلك .

(٨٢) عن جهاده أنظر محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٢١١ وما بعدها .

(٨٣) Matthieu d'Edesse , op. cit. PP. 106 - 108 , Bar Hebraeus , The Chronography , ed. and trans. by E.A. Wallis Budge , 2 vols. Oxford , 1932 , P.

(٨٤) Albert d'Aix , op. cit. , P. 700.

طغتكين الذى خاف أن ينتزع منه مملكته [٨٥] وكان مقتله فى ربيع ثانى ٥٠٧ هـ / أكتوبر ١١١٣ م .

أما فى شمال الشام فقد حاول الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين الانتقام من بوهمند أمير أنطاكية وذلك عندما وقع الأخير فى قبضة الملك غازى كمشتكين فى أغسطس ١١٠٠ م / رمضان ٤٩٣ هـ ، وعرض الإمبراطور رشوة قدرها مائتين وستين ألف دينار لتسليمه بوهمند ، ولكن الأمراء الصليبيين سارعوا بالتدخل ، كما نجح بوهمند فى إقناع غازى بالتحالف معه وأطلق سراحه [٨٦] ، وجاء إطلاق سراحه وبالاً على المسلمين فقد قويت به نفوس أهل أنطاكية ، كما وقع الخلف بين الملك غازى وقلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم وتفككت بذلك جبهة الأتراك فى آسيا الصغرى [٨٧] .

كذلك مارست المدن الشامية فى الشمال دفع الرشوة للصليبيين لإبعاد

---

(٨٥) ذكر ابن القلانسى أن ذلك كان " بتدبير وموافقة طغتكين " ، أنظر ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، " وقيل بل خافه طغتكين " كما أشار ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٥٠ .

(٨٦) توجه بوهمند لمساعدة جبرائيل حاكم ملطية الأرمينى بناء على دعوته ضد غازى صاحب سيواس . ويذكر ابن العبرى أنه تم دفع مائة وعشرين ألف دينار . للمزيد :

Albert d'Aix, PP. 524 - 525 , Ano. Syric. Chron. , I. , P. 74 , Bar. Hebraeus , op. cit. , P. 237.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ؛ محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٧٠ .

(٨٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٣٩٩ ؛ حسين عطية : أنطاكية ، ١٢٧ .

خطرهم عنها ، فقد دفعت حمص رشوة مالية لريمـوند الصنجيلى فى رجب ٤٩٦ هـ / أبريل ١١٠٣ م لكى يفك حصاره عنها ، فقبل ذلك بعد أن وصلته أنباء قرب وصول قـوات دقـاق أتـابك دمشق لإنقاذها (٨٨) . وعقب إطلاق سراح بوهمند قام بسلسلة من الإغارات على المدن الشامية مما اضطر كثيرا منها إلى دفع رشوة له لتبعد خطره عنها ولكى يعوض ما دفعه ثمنا لحريته . وحصل من المسلمية - الواقعة على طريق حلب وتبعـد عنها أحـد عشر كيلومترا - على سبعة آلاف دينار وعشرة من الخيول وإطلاق سراح عدد من الأسرى (٨٩) . أما وليم جوردان الذى خلف ريموند الصنجيلى بعد موته فى ٢٨ فبراير ١١٠٥ م / ١١ جماد آخر ٤٩٨ هـ فقد استمر على سياسة سلفه الرامية إلى محاولة الاستيلاء على طرابلس . وفى أثناء حصاره لها قـام اثنان من تجارها بخيانة فخر الملك ابن عمار ونقلا أخباراً إلى جوردان عن وصول الإمدادات والمؤن إلـى ابن عمار وكانت المدينة تعانى من المجاعة بسبب الحصار الصليبى لها . وكذلك فقد رفضا تقديم العون لابن عمار فى إزالة ذلك الحصـار ، فحاول رشوة ريموند لإعادتهما ولكنه رفض فأرسل ابن عمار وراءهما من قام باغتيالهما (٩٠) .

وبالإضافـة إلى العوامـل التى أدت إلى فشـل بوهمـند فـى حملته ضد بيزنطة فى عام ١١٠٧ م /٥٠١ هـ يضيف ألبرت داكس عاملاً آخر ، هو نجاح الكسيوس فى إغراء عدد من قادة جيش بوهمند حيث ألسدت نفوسهم " أموال وهدايـا الإمبراطـور " فتحولوا عنـه وخانوه " وأعمتهـم إغراءات

(٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥١١ ؛ ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ٢٣٠.

(٨٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥١١ - ٥١٢ ، ح [٤] .

(٩٠) أشـار ابن الأثير إلى قصـة الرجلين ، أما أنا كومنينا فتعطى تفـاصيل الحصـار والمجاعة . أنظر : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩٦

Anna , P. 357 .

الإمبراطور وخطفت أبصارهم كميات الذهب والفضة " وانتهت هذه الحملة بعقد معاهدة ديفول في عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ [٩١] .

لعبت الرشاوى دوراً آخر في شمال بلاد الشام ، فقد أدت إلى قيام تحالف جمع بين نقيضي الصراع . فقد تحالف تانكرد (١١٠٤ - ١١١٢ م) ورضوان حاكم حلب معا ضد بلدوين سيد الرها وجوسلين صاحب تل باشر وجاولي حاكم الموصل ، وعرض جاولي على بلدوين إطلاق " ما بقي عليه من مال الفداداة "[٩٢] كما أطلق الأخير من جانبه " سراح مائة وستين أسيراً مسلماً كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم "[٩٣] . أما الحلف الأول فنجد أن تانكرد نكث بوعده لرضوان وحاصر الأثارب وعبثا حاول حليفه رشوته بعشرين ألف دينار لكنه رفض وطالب بثلاثين ألفاً بخلاف الثياب والخيول وإطلاق سراح جميع من في حلب من أسرى الصليبيين [٩٤] ، وكان ذلك في عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ .

---

(٩١) Albert d'Aix, PP. 651 - 652.

وأشار ابن القلانسي إلى الخلاف والاتفاق " وأصلح بيمند أمره مع الملك ، ودخل عليه ووطيء بساطه " - ص ٢٦٣ ، وكذلك : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٢٥٥ - ٢٥٧ .

(٩٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١١١- ٩ ، ص ١٢٩ .

(٩٣) ابن الأثير : نفسه ، ص ١٢٧ .

(٩٤) يحدد ابن الأثير المبلغ بمائتين وثلاثين ألف دينار ، ويحدد ابن القلانسي الخيول بعشرة ، ويجعلها ابن العبري عشرين ، وكذلك أربعين بالة من الثياب ، ويضيف ألبرت داكس إطلاق سراح الأسرى وهدايا قيمة من الذهب والفضة أنظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٤١ ؛ ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٧٣ ؛

Albert d'Aix , P. 685 , Bar Hebraeus , P. 244 .

انهالت الرشاوى على تانكرد عقب إستيلائه على الأثارب ، فأخذت العديد من المدن تدفع له الأموال ، فقد دفع له ابن منقذ صاحب شيزر أربعة آلاف دينار ، وعلى الكردى صاحب حماه ألفى دينار [٩٥] . ولم يكن أمام العرب من خيار فى تلك الفترة سوى اللجوء إلى الذهب لكبح جماح الفرنج كما يذكر ابن العبرى [٩٦] . وفى ٩ محرم ٥٠٥ هـ / ١٨ يوليو ١١١١ م توجه شرف الدين مودود صاحب الموصل ، والأمير أحمديل الكردى صاحب مراغة فى أذربيجان وغيرهما إلى جهاد الصليبيين ، وحاولوا استرداد تل باشر ، وعندما أشرفت المدينة على السقوط ، لجأ جوسلين إلى إستخدام الرشوة لانقاذها فذكر ابن القلانسى أنه استمال أحمديل " بمال وهدية " [٩٧] ، وأكد ابن العديم ذلك بقوله " فتطارح جوسلين صاحبها على أحمديل الكردى وحمل إليه مالاً ، وطلب منه الرحيل ، فأجابه إلى ذلك " وحسّن أحمديل إلى الأمراء الرحيل عنها فأجابوه لأن أكثر العسكر كان معه ورحلوا إلى حلب [٩٨] كذلك سلم ياروقتاش الخادم متولى أصفهسلارية حلب حصن القبة إلى روجر صاحب أنطاكية (١١١٢ - ١١١٩ م) ورتب مسير القوافل من حلب إلى هناك وأن يؤخذ المكس منهم [٩٩] .

---

(٩٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٤١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٢١ ، ٥٢٧ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ .

(٩٦) Bar Hebraeus , op. cit. , P. 244.

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٩٨) ابن العديم: زبدة الحلب ، ص٥٢٣ . أما وليم الصورى فيرجع سبب فك الحصار إلى أن المحاصرين رأوا أنه لا توجد إمكانية للنجاح وذهبوا إلى حلب . المصدر السابق ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ ، وكذلك محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٩٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٤٣ ؛ ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ٣٠٦ أما موقع حصن القبة فهو غير معروف على وجه الدقة . نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ح [١] .

فشلت محاولة جوسلين الثانى أمير الرها وبوهمند الثانى أمير أنطاكية فى إستغلال الأوضاع السيئة فى حلب عقب وفاة الأتابك عز الدين مسعود بن البرسقى . ولكن انقاذها من ذلك فى عام ١١٢٨ م / ٥٢١ هـ تم بعد تمت رشوة جوسلين " فصانعوه على مال حتى رحل "[١٠٠] ويحدد ميخائيل السريانى المبلغ بإثنى عشر ألف دينار سنويا[١٠١] . ويذكر أيضا رواية ينفرد بها وذلك عندما تم رشوة بعض الطباخين الذين يعملون لديه وذلك لوضع السم لجوسلين وستة من فرسانه ، وبالفعل قاموا بذلك ومات هؤلاء الستة ولكن جوسلين نجا بعد أن أنقذه الأطباء ، وتم القبض على هؤلاء الجناة وإعدامهم مع أطفالهم[١٠٢] . ولم تشر المصادر الأخرى إلا إلى إصابة جوسلين بمرض خطير دون تحديد سببه كما ذكر وليم الصورى[١٠٣] .

استمر الاهتمام بشمال الشام حيث كان مركز الثقل لظهور حركات الإفاقة الإسلامية بها من ناحية ، ولاستمرار ضعف الدولة الفاطمية ومشاكلها فى الجنوب . لقد لقى الأفضل بن شاهنشاه وزير الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمى مصرعه على يد جماعة . وتشير الروايات إلى استخدام الرشوة فى قتله ، فقد دس عليه الأمر " رجالا وأمرهم بقتله ووعدهم العطاء الجزيل "[١٠٤] " ومالاً وأقطاعاً "[١٠٥] وتمت المؤامرة فى رمضان ٥١٥ هـ

---

(١٠٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٦٠٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(١٠١) Michel les Syrien , op. cit. , P. 244.

(١٠٢) Ibid.

(١٠٣) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٦٤٠ ؛ محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٢٠٣ .

(١٠٤) ابن القطان : نظم الجمان ، تحقيق د. محمود على مكى ، الرباط ، بدون تاريخ ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٠٥) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ص ٥١٦ - ٥١٧ .

/ ديسمبر ١١٢١ م .

وفى إمارة أنطاكية حاولت أليس أرملة بوهمند الثانى الإنفراد بحكم الإمارة الصليبية مستخدمة فى ذلك الرشوة لتحقيق هدفها ، فقد أرسلت بعد وفاتـــه فى فبراير ١١٣٠ م / ربيـع أول ٥٢٤ هـ هدية إلى زنكى عبارة عن " جواد أبيض مزين بالفضة حيث ساد التناســق فى كل مكـان وتم تزيينه بكل دقة " وحمل مبعوثها رسالة معه ولكن تم اكتشـاف المؤامرة واعترف بذلك . وسارع والدها الملك بلدوين الثانى إلى هناك لحل هذا الخـلاف وتم نفيها إلى منفاها فى اللاذقية وجبلة[١٠٦] .

عاودت أليس تمردها مرة أخرى بعد وفاة والدها ورفضـت الخضـوع لفولك الأنجـوى ملـك بيت المقدس الجديد (١١٣١ - ١١٤٤ م) وذلك فـى صيف عام ١١٣٢ م واعتمدت أيضا فى ذلك على رشوة بعض النبـلاء الأقوياء مثل بونز كونت طرابلس (١١١٣ - ١١٣٧ م) فقدمت لهم " هدايا ووعـود سخية " . ويشير وليم الصورى إلى تلك الشـائعات التـى راجـت حـول موقـف بونز وقبوله الرشوة لأنه حاول منع الملك الصليبى من التقدم إلى أنطاكية عـبر إمارة طرابلس . وعلى الرغم من أن فولك نجح فى دخول أنطاكية إلا أن أليس استمرت فى رشـوة بعض النبـلاء الذين " أيـدوا قضيـة الأميرة بسبب الهبات السخية التى وزعتها عليهم[١٠٧] . وفى غضـــون ذلك كـان فولك قد أرسل

---

(١٠٦) قتل بوهمند الثانى على الأمير غازى بن الدانشمند عندما باغته عند عين زربة أنظر :

Bar Hebraeus , op. cit. , P. 255.

وأشارت المصادر العربية إلى هذا الخلاف أنظر: ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٦١٠ - ٦١١ .

(١٠٧) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٦٥٨ - ٦٦٢ . أما ابن القلانسى فذكر وقوع هذه الأحداث فى محرم ٥٢٧ هـ / نوفمبر ١١٣٢ م . المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

مبعوثا سريا لاختيار زوج للأميرة كونستانس ابنة أليس لحل ذلك الصراع ، واستقر الرأى على إختيار ريموند بواتييه ، وعندما علم روجر ملك صقلية بذلك حاول منع وصوله إلى أنطاكية ، وقدم رشاوى لزعماء مدن أبوليا الساحلية لمنع مروره ولكنه استطاع الاحتيال ووصل إلى أنطاكية فى ابريل ١١٣٦ م(١٠٨) .

ومن أهم العوامل التى أدت إلى فشل حملة الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣ م) على بلاد الشام فى عام ١١٣٨ م هو قبوله الرشوة من صاحب شيزر أبو العساكر سلطان بن منقذ . ويجمع المؤرخون الغربيون على قبول الإمبراطور لما عرضه عليه صاحبها من أموال وهدايا ولكنهم اختلفوا حول الدافع لقبولها ، فبينما يذكر وليم الصورى أن سلوك الصليبيين أثناء الحملة مما جعل الإمبراطور يقرر انتهاز أول فرصة للعودة والانسحاب بحملته . وبعد حصوله على الأموال التى دفعها له حاكم شيزر صدرت الأوامر بالرحيل (١٠٩) . أما المؤرخ البيزنطى كيناموس فيشير إلى أنه عرضت على الإمبراطور البيزنطى رشوة مالية تدفع له فى الحال بالإضافة إلى جزية سنوية ولكنه رفضها فى البداية . ولكن عندما صمدت قلعة شيزر أمامه استقبل السفارة وقبل منهم الأموال وهدايا أخرى قيمة وحصل على وعد بجزية سنوية تدفع له (١١٠) . أما نقتاس فيقول إن ذلك يرجع إلى أمرين - الأول انه اذا سقطت المدينة فسوف ينسب ذلك إلى الصليبيين ، والثانى وصول أنباء

---

(١٠٨) يذكر كيناموس أن ريموند كاد يقع فى الأسر ولكنه نجح فى التغلب على مجموعة من الكشافة الرومان - وهى رواية مختلفة . أنظر :

Kinnamos, deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand , New Yorke , PP. 22-23

ويسميه ابن العبرى بيدوى (Bedewi) ; Bar Hebraeus , P. 258.

(١٠٩) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٦٩٦ - ٦٩٧ .

(١١٠) Kinnamos , op. cit. , PP. 24 - 25 .

عن حصار الرها وتعرضها للخطر فقرر فك الحصار وحصل على هدايا هائلة منها خيول عربية أصيلة ذات أعناق مزينة ، وأثوابا من الحرير المطعم بالذهب وماندة قيمة مطعمة بالجواهر وصليباً مزين بالرخام الفارسى (١١١) ، ويطل المؤرخ السريانى المجهول السبب فى ذلك لحدوث مجاعة فى المعسكر البيزنطى وازدياد المعاناة وكذلك خيانة الفرنج فى أضاعة الوقت بحصار القلعة إلى جانب أن السفارة المرسلة إليه زرعت الشك لديه بأن الفرنج قد ضللوه حينما أحضروه إلى هذا المكان - فقرر قبول هداياهم (١١٢) .

أما المصادر العربية فلم تشر إلى مسألة الرشوة ، وانما ذكرت أسبابا أخرى لفشل الحملة وفك الحصار عن شيزر ، فأشار ابن الأثير إلى الوقيعة التى أحدثها زنكى بين الجانبين البيزنطى والصليبى " فاستشعر كل من صاحبه " (١١٣) وتجمع بقية المصادر أيضا على أن السبب يعود إلى وصول إمدادات إلى شيزر فقرر الإمبراطور الرحيل (١١٤) ، ويضيف ابن العبرى سبباً آخر هو مهاجمة السلطان مسعود صاحب قونيه لقيليقيه وسقوط أذنة فى قبضته فقرر الامبراطور الرحيل (١١٥) .

---

(١١١) O City Byzantium , Annals of Niketas Choniates , trans. by H.J. Magoulias , Detroit , 1984 , P. 18 .

(١١٢) Anno. Syric. Charon. II , P. 279 .

(١١٣) الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .

(١١٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٦٢٨ - ٦٣٠ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ وكذلك محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ص ٣٥٠ - ٣٥٧ ؛ محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٩٦ .

(١١٥) Bar Hebraeus , op. cit. , P. 264 .

وفى الثلاثينات من القرن الثانى عشر الميلادى حدثت تغييرات جذرية في بلاد الشام ، فقد ازدادت قوة عماد الدين زنكي صاحب الموصل وذلك عندما نجح فى ضم حماه وحمص ووضع نصب عينيه الاستيلاء على دمشق نفسها . ومثّل ذلك تمهيداً للصليبيين من ناحية ولمعين الدين أنر حاكم دمشق من ناحية أخرى . ودخل الأخير فى تحالف مع فولك ملك بيت المقدس وأصبحت بانياس هى كبش الفداء لهذا التحالف . وعلى الرغم من إدعاء وليم الصورى أن الفرنج قرروا تقديم مساعدة مجانية لأنر خوفا من زنكى ولإضافة بانياس إلى المملكة الصليبية فإن المصادر العربية تؤكد إرسال هذه الأموال (١١٦) . فيذكر ابن القلانسى " والتمسوا على ذلك مالاً معينا ، يحمل إليهم ليكون عونا لهم على ما يحاولونه وقوة ورهانا تسكن بها نفوسهم ، وأجيبوا إلى ذلك ، وحمل إليهم المال .... " (١١٧) . وأكد ابن الأثير وابن واصل أنه " بذل لهم بذولاً "(١١٨) وكان تقدير وليم الصورى لذلك هو عشرين ألف قطعة ذهبية شهرياً(١١٩) .

وعندما توجه أنر وفولك لحصار بانياس فى ٢٧ شوال ٥٣٤ هـ / ١٥ مايو ١١٤٠ م تم إرسال مفاوضين سراً لدعوة أهلها للأستسلام . ويذكر وليم الصورى أن حاكم المدينة طلب رشوة ثمنا لذلك وهى تخصيص دخل مناسب له يعتمد عليه ، وأن أنر أقنع حلفاءه بذلك فتقرر ضمان هذا الدخل من عائدات الحمامات والبساتين والسماح للسكان بحمل أمتعتهم والخروج سالمين

---

(١١٦) المصدر السابق ، ص ٧٠٥ - ٧٠٦ .

(١١٧) المصدر السابق ، ص ٤٢٦ .

(١١٨) الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣١٣ ؛ مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

(١١٩) وليم الصورى: المصدر السابق ، ص ٧٠٥ - ٧٠٦ ؛ وكذلك محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

منها[١٢٠] ويؤكد ابن القلانسى تعويض الوالى الذى كان بها " بما أرضاه من الإقطاع والإحسان "[١٢١] ، وفى المحرم ٥٤٢ هـ / يونيو ١١٤٧ م جرت محاولة أخرى لرشوة ألتونتاش غلام أمين الدولة كمشتكين وذلك لكى يسلم للملك بلدوين الثالث بصرى وحصن صرخد . ووافق على منحه " تعويضا جزيلاً ومناسباً " ، غير أن نور الدين محمود نجح فى إفشال هذه الرشوة حيث سارع بحمايتهما وعندما عاد إلى دمشق قبض عليه وأفتى الفقهاء بسمل عينيه[١٢٢] .

وفى أنطاكية دار صراع بين ريموند بواتييه والبطريرك رالف أوف دمفرنت (١١٣٥ - ١١٤٠ م) حيث تم توجيه الإتهام للأخير " بالسيمونية " واضطر للذهاب إلى روما للدفاع عن نفسه على الرغم من الصلح المؤقت بينهما . وبينما كان رالف عائداً إلى الأراضى المقدسة تم رشوة أحد المرتزقة فقام بدس السم له فى شراب فمات قبل عودته إلى منصبه[١٢٣] كذلك استمرت الاتهامات إلى البطريرك الجديد ايمرى أوف ليموج (١١٤٠ - ١١٩٣ م)

---

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ٧١١ ؛
Benvenisti , op. cit. , PP. 149 - 150 .

(١٢١) المصدر السابق ، ص ٤٢٧. ولم يشر وليم الصورى أو ابن القلانسى إلى اسم هذا الوالى ولاشك أنه ليس إبراهيم بن طرغت الذى كان قد استشهد أثناء مواجهة ريموند بواتييه أمير أنطاكية . أنظر المصدر السابق ، ص ٤٢٦ .

(١٢٢) نفسه ، ص ٤٥٢ ؛ وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٧٤٢ - ٧٤٣ ؛
Rohricht , Geschicte , PP. 238 - 239.

(١٢٣) كان رئيسا لأساقفة المصيصة وذكر وليم القصة كاملة دون أن يحدد العام الذى مات فيه . ويجعله هاملتون فى عام ١١٤٤ م . أنظر : وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٧١٥ - ٧١٩ ؛
Hamilton , op. cit. , PP. 30 - 37.

الذى أتهم أيضا باستخدام السيمونية للوصول إلى منصبه عن طريق قريبه بطرس أرميون الذى لجأ إلى " الحيل والبذل السخى للهدايا " و " أثر عليهم بهبات سخية " ويبدو أن ريموند هو الذى كان وراء هذه الاتهامات عن طريق رشوة المجتمعين فى المجمع الكنسى (١٢٤) .

حرص الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠ م) على استخدام نفس الاسلوب البيزنطى مع قادة الحملة الصليبية الثانية . فانهالت هداياه على كونراد الثالث ملك المانيا ولويس السابع ملك فرنسا (١٢٥) ، بل إنه حاول رشوة عدد من قادة الملك الألمانى بالأموال لكى يمتنعوا عن الولاء له (١٢٦) وكذلك فقد أثير موضوع الرشوة بالنسبة للأدلاء البيزنطيين الذى صحبوا القسم الألمانى . ويذكر أودو أوف ديل ووليم الصورى أن مانويل هدف من ذلك القضاء على الايمان المسيحى والتثبيط من عزيمة الصليبيين (١٢٧) ، ويضيف وليم الصورى والمؤرخ السريانى المجهول إتهاما أخر لمانويل وهو رشوته

---

(١٢٤) هناك صلة قرابة بين ايمرى وبطرس ارميون مؤولى قلعة أنطاكية ، ولكن هاملتون يذكر أننا يجب أن نأخذ بحذر إتهامات وليم له لأنه كان بطريركا ورفض مثل أسلافه أن يتخلى عن سيطرته على كنائس صور فى إمارة طرابلس بينما كان وليم رئيسا لأساقفة صور . أنظر :

Hamiltom , op. cit. , P. 39 .

(١٢٥) Kinnamos, op. cit. , PP. 62 - 63 , Niktas , op. cit. , PP 37 - 38 .

(١٢٦) Kinnamos , op. cit. , P. 67 .

(١٢٧) Odo of Deiul , De Profectione Ludavici VII in Orientem , The Journey of Louis , VII to the East , ed. & Trans. by Virginia Gingerick Berry New Yourk , 1948 , PP. 89 , 93 .

للتركمان [١٢٨] . أما المورخ نيقتاس فيترك الأمر معلقا بعد أن عدد إتهامات كثيرة بقوله " إنه لا يعرف الحقيقة " [١٢٩] . أما عن رشوة التركمان فيذكر أن الأتراك قاموا بمحاربة الألمان بمجرد أن أثارهم الإمبراطور بخطاباته إليهم [١٣٠] . وتعلق فريجنيا جينجريك مترجمة كتاب أودو أوف ديل على المادة التاريخية السابقة بأنها من الدرجة الثانية ، كما أن وليم الصورى بعيدا عن الأحداث وتستند فة رأيها على خطاب لكونراد أرسله إلى فيلبد أوف كورفى مشيراً إلى أنه هو الذى اختار الطريق الذى وقعت فيه الكارثة للألمان ، كما أنه لم يشر إلى رحيل الأدلاء عن الحملة مما يجعلها شيئاً ثانوياً [١٣١] ، غير أنه لم يذكر فى خطابه موقف التركمان وهل تمت رشوتهم أم لا مما يجعل المسألة بحاجة للبحث والدراسة .

أما أحداث الحملة نفسها بعد أن وصلت الجموع الصليبية إلى عكا فى ٢٤ يونيو ١١٤٨ م / ٤ صفر ٥٤٣ هـ فكانت إتخاذ أغرب قرار وهو مهاجمة دمشق حليفة الصليبيين آنذاك . وأجمعت المصادر الغربية على توجيه الاتهام بالشوة لعدد من قادتها مما أدى إلى فشلها . وتراوحت الاتهامات ما بين بلدوين الثالث الملك الصليبى نفسه ، وايلى ناندوس سيد طبرية وفيبرى كونت فلاندرز وريموند بواتييه أمير أنطاكية وعدد آخر من القادة . ويذكر وليم الصورى أن الدمشقيين كانوا يعرفون شره وجشع الصليبيين فعملوا على إقناع

---

(١٢٨) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٧٦٢ ؛
Ano. Syric. Chron. II. P. 298 .

(١٢٩) Niktas , op. cit. , P. 39 .

(١٣٠) Niktas , op. cit. , P. 39 .

(١٣١) Odo of deiul , op. cit. , PP. 89 , n. 5 ; 93 , n. I.

وكذلك محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .

عدد منهم بتحويل القوات الصليبية إلى الجهة المقابلة التى حسنوا لهم أنها يمكن الإستيلاء على دمشق عن طريقها ، ولكن تم اكتشاف الخدعة التى وقعوا فيها وأن المكان غير صالح لذلك . وكان ممن وجه وليم أتهامه إليهم بتلقى الرشوة هو ثيبرى كونت فلاندرز الذى اجتمع بالملكين كل على حده فوعداه بتسليم دمشق له وعندما علم عدد من القادة بذلك لجأوا إلى الخيانة بدلا من تسليم دمشق إليه . ويستمر وليم فى روايته مشيرا إلى أن فريقا أخر وجه الاتهام بالرشوة إلى ريموند بواتييه الذى استمال عددا من قادة الحملة لكى تفشل ويعود لويس السابع خالى الوفاض[١٣٢] . وأخيرا يوجه وليم إتهامه إلى عدد من القادة - دون ذكر أسمائهم - بأنهم قبلوا المال لإنزال الكارثة بالحملة وإفشالها[١٣٣] .

وفى الواقع فإن ما سجله وليم الصورى عن هذه الإتهامات لم يكن فى زمن الحملة إنما جاء بعد وقت طويل من فشلها كما يذكر ذلك ، ويصعب قبول إتهامه لريموند سيد أنطاكية وذلك لأنه لم يكن موجودا مع الحملة ، كما أن الحملة أثناء وجودها فى أنطاكية لم تكن قد اتخذت قرارا بعد بمهاجمة دمشق . كما أن توجيه الاتهام لعدد من القادة - الذين لم يحددهم وليم - بعيدا عن الواقع لأن الذى اتخذ القرار بتعديل الهجوم هو الملك الصليبى وليس هؤلاء القادة ، كذلك لم يتهم وليم ثيبرى كونت الفلاندرز بقبول الرشوة مباشرة ، واذا كان الأمراء الصليبيون قد تقاعسوا بسببه ، فان جاى سيد بيروت رشح لتولى إمارة دمشق أيضا[١٣٤] .

---

(١٣٢) عن العلاقة بينه وبين ريموند أنظر : زابوروف : الصليبيون فى الشرق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(١٣٣) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٧٨٣ - ٧٨٧ .

(١٣٤) كانت هذه هى المرة الثانية التى يزور فيها ثيبرى الأراضى المقدسة - فقد زارها قبل ذلك فى عام ١١٣٧ م - أما عن ترشيح جاى سيد بيروت أنظر: رانسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص٤٥٦

على أية حال فإن الإتهام الثانى بقبول الرشوة يوجهه ميخائيل السريانى إلى كل من الملك بلدوين الثالث وايلى نانوس سيد طبرية . ويذكر ان الدماشقة خوفوه من الملك الألمانى بأنه لن يتركه على عرشه وعرضوا عليه رشوة مقدارها مائتي ألف دينار ، ونصف المبلغ لسيد طبرية ، وفيما بعد اكتشفوا أن هذا الذهب كان مزيفا وتخبط الخونة فيما بينهم (١٣٥) . ويذكر المؤرخ السريانى المجهول نفس الرواية مع تعديل عليها فيشير أن الملك الصليبى هو الذى أرسل للدماشقة يستفسر منهم ماذا سيدفعون له لو جعل الحملة تعدل من وجهتها بعيد لأنه كان جارا لدمشق ويعرفها جيدا ، فوعدوه بمائة ألف دينار ذهب ، وحينئذ نصح الملوك بتعديل مواقعهم وأدركوا بعد ذلك خيانته فغضبوا وتركوا حصارهم لدمشق عائدين إلى عكا (١٣٦) . أما ابن العبرى فيذكر أن معين الدين أنر أرسل سرا خطابا إلى ملك بيت المقدس يعرض عليه مائتى ألف دينار مغطاة بالذهب المصرى ، وخمسين ألف إلى سيد طبرية مصنوعة من الذهب المغشوش . ويقارن ذلك مع خمس من المخطوطات العربية فلم يجد هذه الرواية التى أوردها فقط ميخائيل السريانى كما يذكر(١٣٧).

وثمة إتهام أخر يوجهه برنارد متولى الخزانة وحولية أرنول إلى جماعتى الفرسان الاسبتارية والداوية بأنهم تعرضوا للخديعة وتلقوا هذه الرشوة

---

(١٣٥) Michel les Syrien , op. cit. , III , P. 276.

(١٣٦) Ano. Syric, Chro. II. PP. 298 - 299 .

(١٣٧) Bar Hebraeus , op. cit. , P. 274 .

ولم يورد ميخائيل السريانى هذه الرواية بمفرده ، بل أشار إليها أيضا وليم الصورى والمؤرخ السريانى المجهول أيضا .

وأخذوا البيزنطات المزيفة [١٣٨] . ويشير وليم الصورى مرة أخرى إلى رواية الرشوة دون أن يحدد من قبلها ويذكر أنها وجدت " مزيفة ولا تساوى شيئا " [١٣٩] .

وفى الحقيقة أجمعت هذه المصادر على وقوع حادثة الرشوة من ناحية وعلى أنها وجدت مزيفة من ناحية أخرى . وعلى الرغم من أن مصادرنا العربية لم تشر إليها ، إلا أنها ذكرت حدوث إتصالات بين أنر حاكم دمشق وبين الصليبيين خاصة " إفرنج الشام " أو " الساحلية " الذين أجابوه إلى التخلى عن ملك الألمان بعد خوفهم من وصول نور الدين محمود وعرض عليهم اعطاأهم بانياس بدلاً من دمشق . ولا نستبعد أن يكون قد تم أثناء ذلك تقديم الرشوة المشار إليها [١٤٠] . أما تحديد الشخص الذى قبل هذه الرشوة

---

(١٣٨) Chronique d'Ernoul , et de Bernard le Tresorier , ed. M. L. de Mas Latrie , Paris 1871 , P. 12 .

ومؤلف هذا المصدر برنارد متولى الخزانة فى دير القديس بطرس فى كوربى بفرنسا - وينتهى عند عام ١٢٣١ م . وربما أضيف هذا الاتهام للجماعتين بعد ازدياد النقد الموجه ضدهما فى أوروبا بسبب سياستهما وأملاكهما الواسعة . عن ذلك أنظر :

Prawer , Military Orders and Crusaders , in die Geistchichen Europas , 26 , 1980 , PP. 225 ff.

(١٣٩) المصدر السابق ، ص ٧٨٧ .

(١٤٠) بدء حصار الصليبيين لدمشق فى ٦ ربيع أول ٥٤٣ هـ / ٢٦ يوليو ١١٤٨ م ، وكان ملك بيت المقدس ونبلاؤه يحاصرون الجهة الشرقية ، والملك الألمانى والفرنسى من جهة الميدان الأخضر . وذكر سبط ابن الجوزى أن أنر راسل " السواحلية " وخوفهم وعرض عليهم تسليم بانياس فى مقابل ترحيل الفرنج " الغرباء " فحسنوا لهم ذلك ورحلوا . أنظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

فلاشك أن الاتهام يوجه إلى الملك الصليبى الذى تقع عليه مسئولية تحويل القوات الألمانية والفرنسية إلى الجهة الأخرى التى لم يتوفر بها الماء والمؤن ، مما أدى إلى فشل الحملة . وكذلك إلى ايلى ناندوس سيد طبرية أو الجليل الذى كان من القواد الرئيسيين فى الجيش الصليبى وكان يهمه ألا يفقد صداقة دمشق كما أن ضم بانياس للمملكة سوف يوفر حماية لإمارته من جهة الشمال (١٤١) .

لعبت الرشوة دورا هاما فى القضاء على بقايا إمارة الرها وحاكمها جوسلين ، فقد صمم نور الدين محمود على الانتقام من حاكمها بعد أن سخر منه عند السلطان مسعود بن قلج أرسلان والد زوجته . فأغرى نور الدين جماعة من التركمان " ووعدهم الوعود الجميلة " (١٤٢) " وبذل لهم الرغائب " (١٤٣) لأسره . ووضعوا فى طريقه امرأة وتمكنوا من أسره ، وحاول جوسلين رشوتهم لاطلاق سراحه ولكن تم إبلاغ نور الدين الذى أرسل من قبض عليه وأرسله إلى حلب (١٤٤) وكان أسره من أعظم الفتوح لأنه " كان شيطاناً عاتياً شديداً على المسلمين قاسى القلب ، وأصيبت النصرانية

---

(١٤١) عن موقف سيد الجليل أنظر أيضا : على السيد : إمارة الجليل تحت حكم الأتابكة ودورها السياسى فى الصراع الصليبى الإسلامى فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٨٨ (رسالة ماجستير لم تنشر بعد) ، ص ٤٢٠ .

(١٤٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

(١٤٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٣٦٩ .

(١٤٤) يذكر المؤرخ السريانى المجهول أن جوسلين وعد التركمان بدفع رشوة للتركمان إذا أخذوه إلى قرية للنصارى وتم الاتفاق معهم على دفع ستين ديناراً ولكن أحد الصباغين اليهود عرفه ودل عسكر نورعليه فقبضوا عليه . ويذكر ابن العبرى أن نور الدين دفع للتركمان ألف دينار بعد احضارهم له . أنظر :
Anno. Syric. Charon. II. , P. 301 , Bar Hebraeus , op. cit. , P.276

كافة بأسره "(١٤٥) .

أما بقايا إمارة الرها فقد تقاسمها السلطان مسعود السلجوقى ونور الدين محمود والأراتقة . كما باعت بياتريس أرملة جوسلين بعضا منها للإمبراطور البيزنطى مانويل بعد أن وافق الملك بلدوين الثالث على هذه الصفقة . ولم تحافظ بياتريس إلا على قلعة هروم جلا أو قلعة الروم لحين قدوم ابنها . وعرضت على البطريرك الأرمينى جرايجوار الثالث رشوة مالية للحفاظ عليها فقبل ذلك وأصبحت مركزاً للبطريركية الأرمينية بعد أن قام قريالاريوس جاثليق القلعة بدفع رشوة للخليفة العباسى مكنته من استرداد أرض أرمينية . كما أنها ظلت فى قبضة الأرمن وأصبحت بمثابة " الشجى فى الحلق ، والغلة فى الصدر "(١٤٦) .

وعلى الرغم من أن قوانين الداوية حرمت الحصول على الرشوة ، فقد فضلوا الحصول على ستين ألف دينار من أخت الخليفة الظافر الذى قتل على يد الوزير عباس وابنه نصر وفرا إلى بلاد الشام . وأرسلت وراءهما "

---

(١٤٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ٣٦٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٦٦٦ .

(١٤٦) Miclel les Syrian , op. cit. , III , P. 343 .
وظلت حتى نجاح السلطان الأشرف خليل فى استردادها فى رجب ٦٩١ هـ / يونيو ١٢٩٢ م . وسميت قلعة المسلمين الأشرفية . أنظر : بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ وكذلك محمود عمران : السياسة الشرقية ، ص ١٨٥ وما بعدها .

تبذل لهم الأموال " [١٤٧] وإباحة جميع ما معهم اذا قبضوا عليهما وأعادوهما إلى القاهرة . وكانا قد أخذا معهما ما قدرا عليه من المال والجواهر [١٤٨] . وقتل عباس وتم أسر نصر حيث أعيد إلى القاهرة وتم قتله على أيدى الجوارى وهو محبوس فى قفص [١٤٩] .

استخدم نور الدين محمود الرشوة لتحقيق التوازن فى صراعه مع الصليبيين خاصة بعد نجاحهم فى الاستيلاء على عسقلان آخر المعاقل الفاطمية على ساحل الشام وذلك فى عام ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ . فعمل على ضم دمشق للوصول إلى بلاد الفرنج ولسياسة مجير الدين أبق المتحالفة مع الفرنج ضده ، فعمل على استمالته أولاً " وواصله بالهدايا والتحف حتى وثق به " ثم راسل أحداث دمشق " ووعدهم الاحسان إليهم واستمالهم اليه " [١٥٠] ، ونجح بذلك

---

(١٤٧) ذكر مؤلف البستان الجامع أنها عرضت مائة ألف دينار وحدد مكان القبض عليه بالقرب من العريش . أنظر البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان ، لمؤلف مجهول - نشر كلود كاهن فى :

B. E. O. VIII , 1938 , P.131.

(١٤٨) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٣٩٦ ؛ المقريزى : إتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ ١ ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ ، جـ ٢ ، ٣ ، تحقيق د. محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٧١ - ١٩٧٣، جـ٣ ، ص٢١٥ - ٢٢٠ .

(١٤٩) يذكر وليم الصورى أن نصر لجأ إلى تعلم اللاتينية وأبدى استعداده للتحول إلى النصرانية - وربما لجأ إلى ذلك حتى لا يتم إعادته إلى القاهرة - أنظر : وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ؛ عن مصيره راجع المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١٥٠) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٣٩٨ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٦٦٩ . أما ابن القلانسى فيشير إلى دور امرأة يهودية أنزلت حبلاً إلى عسكر نور الدين اقتحموا البلد من خلال ذلك البرج . ص ٥٠٤ .

فى ضمه لدمشق فى المحرم ٥٤٩ هـ / مارس ١١٥٤ م ، مما كان له أكبر الأثر على الصراع الصليبى الإسلامى فى العقود التالية .

ومرة أخرى يثار الاتهام بقبول رشوة فى المجتمع الصليبى ولكن هذه المرة على مستوى أعلى ، فقد اتهم وليم الصورى الكرادلة فى روما بأنهم " ضللتهم الهبات " فى أثناء وجود البطريرك فولشر ومعه حشد كبير من رجال الدين الذين سافروا فى عام ١١٥٥ م / ٥٥٠ هـ لعرض صراعهم مع جماعة الفرسان الاسبتارية (١٥١) . ويوجه جيرهوه أوف ريجنزبرج اتهامه إلى البابا ادريان الرابع بأنه تلقى ثلثمائة مارك من الفضة الخالصة لاصدار الامتيازات البابوية للاسبتارية (١٥٢) .

يعاود وليم توجيه اتهامه للبابا أدريان الرابع بقبول الرشوة وذلك فى أملريك (عمورى) بطريرك بيت المقدس الجديد فى نوفمبر ١١٥٧ ، فعلى الرغم من معارضة رئيس أساقفة قيسارية وأسقف بيت لحم لذلك ، فقد أرسل البابا مع فردريك أسقف عكا طيلسان الحبرية Pallium الذى كان قد سافر إلى روما ويتهمه وليم بأنه الذى استخدم " الهبات السخية " للحصول على موافقة البابوية على هذا القرار (١٥٣) .

---

(١٥١) صحبه فى هذه الرحلة رؤساء أساقفة صور وقيسارية وأساقفة عكا وسبدا واللد وسبسطية وطبرية . وكان البابا أناستاسيوس الرابع قد أصدر مرسوما منح الاسبتارية إمتيازات خاصة أثارت الأساقفة اللاتين فى الأراضى المقدسة خاصة فيما يتعلق بالمشور . وتطور الأمر إلى صدام بين أنصار الجانبين .

أنظر : وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٨٣٥ ؛

Hamilton , op. cit., PP. 72 - 73 .

(١٥٢) رالى سميث : جماعة الاسبتارية ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ويذكر أنه من الصعب قبول ذلك عن البابا أدريان الرابع لما هو معروف عن شخصيته .

(١٥٣) المصدر السابق ، ص ٨٥٧ - ٨٥٨ ؛ Hamilton , op. cit., P. 76 .

وفى عام ١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ نجح نجم الدين أيوب فى الدفاع عن دمشق عندما تعرضت لهجوم من الملك بلدوين الثالث وذلك بتقديم رشوة مالية من أربعة آلاف قطعة من الذهب ، وكذلك إطلاق سراح ستة من الفرسان الصليبيين أسرى مقابل هدنه مدتها ثلاثة أشهر . كما تمكن من رشوة عدد آخر من المحيطين بالملك لاقناعه بالموافقة على هذا العرض ، وبالفعل وافق الملك على ذلك وانسحب(١٥٤) . وعلى الرغم من أن المصادر العربية لم تشر إلى ذلك إلا أن رواية وليم الصورى تبدو صحيحة ، فقد كان نور الدين محمود مشغولاً آنذاك فى مهاجمة أملاك سلطان قونيه ، أما أسد الدين شيركوه الذى كان قد عهد إليه نور الدين بدمشق منذ ضمها - كان يؤدى فريضة الحج ، كما أن نجم الدين كان بدمشق عندما قدم إليها العام السابق صحبة نور الدين (١٥٥) ومن هنا يبدو لنا كيف أسهمت الرشوة فى الحفاظ على واحدة من أهم المعاقل وإدراك نجم الدين لجشع هؤلاء القادة .

وثمة حالة أخرى وقعت ما بين عامى ١١٦٥ م ، ١١٦٦ م وذلك عندما سقطت قلعة تسمى بكهف صور واقعة بالقرب من صيدا وذلك فى قبضة أسد الدين شيركوه عندما نجح فى رشوة حراس هذه القلعة - ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله - " وأن ذلك كان واضحاً " . ولكن تم القبض فيما بعد على قائد هذه المجموعة وشنقه فى صيدا(١٥٦) . وبالإضافة إلى ثبوت الرشوة كما ذكر وليم فإن إشارته الثانية أهم فى موضوعنا ولكن للأسف لم يعط لنا أية

---

(١٥٤) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٨٦٧ .

(١٥٥) عبد القادر محمد ابراهيم الحنبلى : الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، جـ ١ ، نشر حمد الجاسر ، الرياض بدون تاريخ ، ص ٥٦٤ . أما أبو شامة فقد ذكر قدوم نجم الدين أيوب إلى دمشق فى عام ١١٥٩ هـ / ٥٥٤ هـ . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

(١٥٦) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٨٩٣ .

تفاصيل عن ذلك . والتساؤل هو هل كانت " عقوبة الشنق " بسبب تلقى الرشوة أم بسبب سقوط القلعة ؟ !

ودون الدخول فى تفاصيل المرحلة التاريخية التالية ونقصد الصراع حول امتلاك مصر بين نور الدين محمود وبين ملوك بيت المقدس فإننا نلاحظ أن العوامل المادية واستخدام الرشاوى قد حسم كثيراً من أحداث هذه المرحلة ، ففى عام ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ قام شاور برشوة الصليبيين بتقديم أربعمائة ألف قطعة ذهبية يدفع نصفها فوراً ويسدد الباقى بعد إتمام الإتفاقية (١٥٧) . كذلك حاول شاور أن يغرى التركمان الذين كانوا فى جيش أسد الدين شيركوه الذى قدم لنجدة ضرغام - " وأفسدهم بالذهب " (١٥٨) لكى يتخلوا عن أسد الدين - وربما كان لذلك أثره عليه " فلما راسلوه فى المهادنة أجاب وطلب منهم عوض ما غرمه " (١٥٩) . ويشير صاحب البستان الجامع إلى أنه عندما تم الصلح بين صلاح الدين وعمورى بغير علم من شاور ورحل إلى عند الملك الصليبى ونظر إلى صلاح الدين جالساً بجانبه فقال له سلمه إلىّ وأعطيك كل سنة خمسين ألف دينار - ولكنه رفض وقال حلفت له (١٦٠) .

---

(١٥٧) نفسه ، ص ٨٩٩ ، وكذلك :

Schlumberger , G. , Campanges du roi Amaury I de Jerusalem en Egypte au XII siecle , Paris , 1966 , PP. 117 - 119.

(١٥٨) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥١ ؛ أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ١٤٣ - ١٤٥ .

(١٥٩) أبو شامة : نفس المصدر .

(١٦٠) البستان الجامع ، ص ١٣٧ ، ويذكر المقريزى نفس الرواية فى الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ - وانتهت هذه الحملة بعودة عمورى وشيركوه إلى بلاد الشام فى شوال ٥٦٢ هـ / أغسطس ١١٦٧ م وقدم شاور لشيركوه خمسين ألف دينار ، وللفرنج مائة ألف وشحنة لهم بالقاهرة . أنظر : البندارى : سنا ==

وفى أثناء وجود الصليبيين فى مصر ضغط نور الدين عليهم بمهاجمة بانياس مستغلاً وجود صاحبها همفرى الثانى كافل المملكة فى مصر وليجبر الملك الصليبى على الانسحاب منها . ويوجه وليم الصورى إتهاماً إلى ولتر دى فوسنوى وشماس يدعى روجر بأنهما تلقيا رشوة من نور الدين مقابل الاستسلام ، وخشيا على نفسيهما أن يتعرضا للقتل بعد عودة همفرى (١٦١) . ولا ندرى مرة أخرى هل كان ذلك عقوبة تلقى الرشوة كما سبقت الإشارة إلى شنق قائد كهف صور . وعلى الرغم من إشارة المصادر إلى أن بانياس سقطت فى عام ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ فى قبضة نور الدين ، إلا أن الغارة الثانية فى عام ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ كانت ضد بقايا بانياس وخاصة قلعة هونين أو Chatu Neuf وهو ما ذكره ابن الأثير وأبو شامة فى شوال ٥٦٢ هـ / يوليو ١١٦٧ م (١٦٢) .

-- البرق الشامى ، تحقيق د. فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٢٠ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(١٦١) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٨٩٠ - ٨٩١ ، ولا ذكر وليم سقوط بانياس وتوابعها فى عبارة مختلطة ، فأشار أن ذلك كان فى العام الثانى من حكم عمورى أى ١١٦٧ م كما ورد فى نص عبارته . وربما خلط بين الأمرين فالعام الثانى يعنى ١١٦٤ م لأن عمورى حكم فى١١٦٣ إلى١١٧٤ م وهى صحيحة لأن بانياس سقطت فى هذا العام ، أما عام ١١٦٧ م فيبدو أن هناك عبارة سقطت قبله لأن هجوم نور الدين على بقايا الإمارة كان فى هذا العام كما ذكرت المصادر العربية .

(١٦٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٤٦٩ - ١٤٧٠ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ، ١٥٢ - ١٥٣ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ ؛ أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٩ وعن الهجوم على هونين أنظر: ابن الأثير : المصدر السابق ، --

وفى حملة عمورى الثالثة إلى مصر فى صفر ٥٦٤ هـ / نوفمبر ١١٦٨ عمل شاور على استخدام الرشوة لإفسادها ، فقد إرتاع لما فعله الملك الصليبى فى بلبيس وقرر استخدام الأموال لمصانعة عمورى فى الوقت الذى أرسلت استغاثات إلى نور الدين لإرسال قواته مرة أخرى ، وبالفعل وعده شاور بدفع مبلغ ضخم قدره البعض بمليونى قطعة ذهبية إذا التزم بعدم الهجوم على القاهرة وإطلاق سراح الأسرى . ويتهم وليم الصورى الملك الصليبى بالجشع لأنه " كان يفضل يأخذ رشوة كبيرة وينسحب " كما أشار إلى أن ميلون دى بلانسى كان وراء قرار الملك بقبول هذه الأموال لأنه " كان على بينة تامة بجشع الملك ونهمه إلى تحقيق الثراء " . وعلى الرغم من مطالبة الغالبية باللجوء إلى السيف لكن الملك وفريقه طالبوا بعكس ذلك أى قبول الرشوة المقدمة من شاور . وانتصرت رغباته فى نهاية الأمر ونفذت إرادتهم ، ودفع شاور على الفور مائة ألف قطعة ذهبية ، وأخذ يماطل فى دفع الباقى متعللاً بصعوبة جمع مبلغ ضخم مثل هذا لأن موارد المملكة المتاحة لا تمكنه من ذلك (١٦٣) .

وتتفق المصادر العربية مع رواية وليم الصورى بشأن مماطلة شاور للفرنج ، وأشار أبو شامة إلى أن الملك عمورى برر موقفه بأن أخذ " المال للتقوى به ونكثر من الرجال ثم نعود إلى البلاد بقوة لا نبالى معها بنور الدين ولا غيره "(١٦٤) . ويؤكد أيضا نقلاً عن العماد الكاتب أن شاور استخدم

-- جـ ١٠ ، ص ٥ - ٦ ؛ أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٧ .
وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٦٨٦ ؛
Benvenisti , op. cit. , P. 151 .

(١٦٣) وليم الصورى : المصدر السابق ، ٩٣١ - ٩٣٢ ؛ وعن ميلون أنظر نفس المصدر ، ص ٩٧٤ - ٩٧٥ .

(١٦٤) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

الرشوة " حيلة وخداعا له واطماعاً " " وأقام منتظراً ودام متحيراً وعامل الفرنج بالمطال ينقدهم فى كل حين مالاً ويطلب منهم إمهالاً ومازال يعطيهم ويستميلهم حتى أتى الغوث بعساكر نور الدين رحمه الله "(١٦٥) . وهكذا استطاع شاور أن ينقذ البلاد باستخدام الرشوة ونجح فى التلاعب بهم لعلمه مدى جشعهم وحبهم للمال ويعترف وليم الصورى بأن " جشع هؤلاء الرجال قد جلب علينا جميع هذه الكوارث ، كما أن نهمه - وهو أصل الشر - قد شوه الصفاء التى كانت السماء قد منحتنا اياه "(١٦٦) .

على الرغم من فشل عمورى فى حملاته السابقة إلا أنه كان لايزال يأمل فى الإستيلاء على مصر واستعان هذه المرة بحملة بيزنطية صليبية مشتركة لتنفيذ ذلك ، ولسنا هنا بمعرض الحديث عن هذه الحملة التى وقعت فى عام ١١٦٩ م / ٥٦٤ هـ ، وإنما سوف نتناول أحد العوامل الهامة التى أدت إلى فشلها ألا وهو استخدام الرشوة . ويعترف وليم الصورى عند تحليله لهذه العوامل بأن هناك " خيانة " أو " مجرد إهمال واستخفاف " قد حدث أثناء محاولة اقتحام دمياط . أو أن الذين كانوا يتولون القيادة يتصرفون " بنية خائنة "(١٦٧) . ثم أشار بعد ذلك أنه أجرى تحقيقا جادا ودقيقا حول الملك وبعض الرجال المهمين فى المملكة عن السبب فى فشل حملة ضخمة مثل هذه وأنه استمع بعد عودته من روما لروايات شديدة الاختلاف ولكنه فى النهاية يلقى بالتبعة على البيزنطيين لأنهم لم يرسلوا الأموال الكافية لدعم الجيش ، ثم يعلق السبب فى النهاية على نقص الامكانيات (١٦٨) .

---

(١٦٥) نفسه .

(١٦٦) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٩٣٦ .

(١٦٧) نفسه ، ص ٩٤٣ .

(١٦٨) نفسه ، ص ٩٤٦ .

أما المؤرخ البيزنطى نيقتاس فيشير إلى الملك الصليبى عمورى بأصابع الإتهام ويتهكم عند الحديث عن السبب فى التخاذل الذى حدث أمام دمياط مشيرا أنه هل كان بسبب أن وضع المصريون له شرابا سحريا جعله يعلق درعه ويضع سيفه فى غمده ويغرز سن رمحه المدبب فى الأرض ؟ أم أنه غير رأيه وسحرته الفضة وسد الذهب أذنيه فأصمه ؟ (١٦٩) ، ويوجه كيناموس إتهاما غير مباشراً إلى الملك الصليبى بقوله " وهناك زعم بأن هؤلاء الذين داخل [دمياط] رشوا الملك بالأموال (١٧٠) ، ولا تخلو عبارات ميخائيل السريانى من اتهام غير مباشر للملك الصليبى بتلقى الرشوة ، فذكر أن المصريين قاموا بدفع الأموال التى كانت للملك وتعهدوا بأنهم سوف يستمرون فى ذلك وأعطوه بعض الرهائن لأن يوسف (صلاح الدين) لم يكن لديه القدرة الكافية لطرد الفرنج (١٧١) .

ومن خلال الروايات السابقة نجد أن الاتهام وجه للملك عمورى بشأن

---

(١٦٩) Nikitas , op. cit. , P. 94 .

(١٧٠) Kinnamos , op. cit. , P. 209 .

(١٧١) Michel les SYrian , op. cit. , (in RHC. Doc. Arm.) I. , P. 369 .

أما ما ذكره رانسيمان نقلاً عن ميخائيل السريانى بأن صلاح الدين حاول رشوة اليونانيين فلم يشر إلى ذلك وانما ذكر أن بعض الأشخاص حذروا ملك القدس من البيزنطيين وذلك لأنهم يعتزمون الاستيلاء على مصر لحسابهم الخاص .

ونص الرواية :

Le Tribut auquel les Egyptiens S'etaiemt obliges lui fut paye eu une somme d'or , et ils s'engagerent pour l'avenir , eu lui damnant des otages , car Youcouf (Saladin) n'etait pas encore en mesure de repousser les Franks. Cf. Michel les Syrian , op. cit. , PP. 369 - 370 .

أنظر : رانسيمان : المرجع السابق ، ص ٦٢٧ .

محاولاته لافساد الحملة وذلك بتلقيه الرشوة . وعلى الرغم من إشارة وليم الصورى إلى ذلك إلا أنه لم يذكر نتيجة بحثه الدقيق ، ولكن المصادر اليونانية والسريانية أجمعت على ذلك ، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يفضل فيها عمورى الحصول على المال والعودة بقواته كما سبق فى حملته الثالثة . أما مصادرنا العربية فلم تشر إلى رشوة الملك الصليبى اللهم إلا عبارة أوردها أبو شامة حيث ذكر أن الخليفة الفاطمى العاضد أرسل لصلاح الدين مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب والتى ربما استخدم جزءا منها فى رشوة الملك الصليبى (١٧٢) .

لجأ الصليبيون إلى محاولة جديدة للتخلص من صلاح الدين الأيوبى وذلك عندما وافقوا على الأشتراك فى مؤامرة الشيعة ضده . كما انضم إليهم وليم الثانى ملك صقلية والحشيشية ، وجرت هذه المؤامرة فى عام ١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ ، ووصل رسول من قبل الصليبيين فى الوقت الذى أغرى فيه صلاح الدين من كان يأتيه بخبره واتصالاته مع المتآمرين . وقبل ذلك كان صلاح الدين قد نجح عن طريق رشوة أحد أطرافها " بالدور والعقار وكل ما له من الموجود والمذخور وبذل له صلاح (الدين) كل ما طلبه " (١٧٣) وانتهت هذه المؤامرة بالفشل .

---

(١٧٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ ، وعن الأسباب الأخرى لفشل الحملة أنظر : محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٣١٢ - ٣١٨ .

(١٧٣) أشارت بعض المصادر إلى ابن مصال ، وأخرى إلى زين الدين على الواعظ بأنه الذى أخبر صلاح الدين بأمر هذه المؤامرة ، أما وليم الصورى فقد ذكر وصول مبعوث للحشيشية إلى عمورى قبل تنفيذ هذه المؤامرة ولكنه أشار إلى أن سبب قدومه بخلاف هذه المؤامرة . أما مبعوث عمورى الذى أشارت إليه المصادر العربية فهو " جرج " كاتب عمورى . عن ذلك أنظر : وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٩٦٥ - ٩٦٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٠ ، ص ١٥٤ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ؛ سعيد عاشور : الحركة ، ص ٧٣٠ - ٧٣٢ .

حاول الملك عمـوري استغلال وفاة نور الدين محمود في عام ١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ وذلك بالاستيلاء على بانياس ولكن حاميتها لجأت إلى رشوة الملك الصليبي ولكنه رفض في البداية وظل محاصرا لها خمسة عشر يوما وأخيراً وافق على قبول المعروض عليه واطلاق سراح عشرين أسيراً صليبياً [١٧٤] أما المصادر العربية فقد أكدت هذه الرواية - فذكر ابن الأثير أن شمس الدين محمد ابن عبد الملك بن المقدم صالح عموري " على شيء من المال أخذوه وأسرى اطلقوا لهم كانوا عند المسلمين [١٧٥] ، ويؤكد سبط ابن الجوزي أخذ عموري للمال قبل رحيله [١٧٦] ولكن صلاح الدين اعتبر ذلك نوعاً من أنواع الاستسلام . " فبلغني حديث الهدية المؤذن بذل الإسلام وشين شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم " [١٧٧] ، وكان صلاح الدين يرغب في ضم بانياس ليصير له طريق إلى بلاد الشام ويمتلك البلاد ولكن استخدام ابن المقدم الرشوة لانقاذ بانياس أضاع عليه تلك الفرصة .

أدرك صلاح الدين الخطر المحدق بأملاك سيده نور الدين عقب وفاته من ناحية إنقسام الأمراء ، وخطر الفرنج من ناحية أخرى . وحرص على عدم إظهار نواياه فعمل على استغلال اسم الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين مؤقتا [١٧٨] وعندما قام بحصار حمص - التابعة آنذاك للأمير فخر الدين مسعود بن الزعفراني - ذكر وليم الصوري أن المحاصرين أرسلوا إلى

---

(١٧٤) أشار وليم إلى أن الذي دافع عن بانياس هو زوجة نور الدين وليس ابن المقدم كما ذكرت المصادر العربية . أنظر : ص ٩٦٩ - ٩٧٠ .

(١٧٥) الكامل : جـ ١٠ ، ص ٦٠ .

(١٧٦) مرآة الزمان ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(١٧٧) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧ - ٨ ؛ أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

(١٧٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٧٤٢ - ٧٤٣ .

ريموند الثالث كونت طرابلس والوصى على المملكة الصليبية آنذاك ووعده بـ " مكافأة لائقة " [١٧٩] ونجح صلاح الدين فى ضمها فى جماد أول ٥٧٠ هـ / نوفمبر ١١٧٤ / غير أن قلعتها استعصت عليه فتركها مؤقتا وتوجه إلى حماه ثم حلب . أما المصادر العربية فقد اختلفت فيمن استدعى الفرنج وقدم لهم الرشوة ، فذكر ابن أبى طىء أن ذلك تم بعد فشلهم فى الاستعانة بالحشيشية للتخلص من صلاح الدين فكاتبوا القمص صاحب طرابلس [١٨٠] ، أما ابن الأثير فيشير إلى أن ذلك تم بعد حصار صلاح الدين لحلب فسار إلى حمص [١٨١] . وتبدو رواية وليم الصورى أقرب إلى الصحة لأن الصليبيين أدركوا أن خروج صلاح الدين إلى الشام سوف يلحق بهم الضرر ويؤثر على موازين الصراع بين الجانبين . وعندما تقدم إلى حمص واستنجد أهلها بهم تحركوا على الفور فى الوقت الذى كان فيه صلاح الدين فى حلب فحاول الحلبيون أيضا استخدام الرشوة للتخلص منه ، وعندما وصلت قوات ريموند إلى حمص لانقاذها عاد صلاح الدين وتمكن من الاستيلاء على قلعتها فى ٢١ شعبان ٥٧٠ هـ / ١٨ مارس ١١٧٥ م [١٨٢] .

وفى أثناء الأحداث السابقة أرسل الحلبيون إلى مقدم الاسماعيلية وعرضوا عليه رشوة " أعطوهم ضياعاً ومالاً " اذا قام بالتخلص من صلاح الدين ، ولكن المؤامرة تكشفت عندما عرفهم ناصر الدين خمارتكين

---

(١٧٩) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٩٨٢ .

(١٨٠) نقلاً عن أبى شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ .

(١٨١) المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(١٨٢) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٨٢ .

وأسرع بابلاغ صلاح الدين حيث تم القبض عليهم عند خيمته [١٨٣] ، وكادت الرشوة أن تحقق هدفها فى هذه المرحلة الحاسمة من جهاد صلاح الدين لولا لطف الله عز وجل .

وفى خريف عام ١١٧٧ م / ٥٧٢ هـ تعرضت حارم ذات الأهمية الاستراتيجية لكل من المسلمين والصليبيين لهجوم صليبى وذلك قبل حملة فيليب كونت فلاندرز ، ويذكر ابن العديم أن سبب هذا يرجع إلى أن سعد الدين كمشتكين صاحب حصن حارم قرر أن يبيعه " بمال وافر " إلى الفرنج ، ولكن الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين نجح فى ردهم بعد أن " بذل لهم مالاً " وهددهم بتسليمها إلى صلاح الدين [١٨٤] . ولكن حارم لم تسلم من هجوم صليبى آخر ، ففى ١٤ نوفمبر ١١٧٧ م / ٢٠ جماد أول ٥٧٣ هـ استمر حصارهم لمدة أربعة أيام لمدينة حماة ولكن صاحبها شهاب الدين محمود نجح فى الزود عنها وردهم ، فتوجهت القوات الصليبية بعدها إلى حارم لحصارها . وعندما وصلت هذه الأنباء قرر صلاح الدين الخروج على الرغم مما كان قد لحق به فى نوبة الرملة . وعلى الرغم من أن الصليبيون كادوا يستولون على حارم إلا أن عوامل مختلفة أسهمت فى فشلهم ومن بين ذلك استخدام الرشوة معهم ، فقد اتفقت المصادر العربية واللاتينية على قبولهم لأموال بالإضافة إلى اطلاق سراح عدد من الفرسان . يقول العماد الكاتب " فتنازلوا عن

---

(١٨٣) ويذكر أبى طيء أيضا أنهم " ضمنوا له على ذلك أموالاً جمة وعدة من القرى" أنظر أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(١٨٤) المصدر السابق ، ص ٧٨٣ - ٧٨٤ . وكانت حارم فى عهد نور الدين مركزاً هاماً اذ رتب بها مشعلين يوقدان ليلاً ليهتدى بهما من يهرب من بلاد الفرنج من أسارى المسلمين وحاول الفرنج رشوته بمبلغ عشرين ألف دينار مقابل إزالتهما لكنه رفض ذلك . أنظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص ١٤

النزال ، بما قرروه من قطيعة المال ، وعدة من الأسارى فرسان القتال "[185] وحدد ابن العديم ذلك " بمقدار ما أنفقوا مدة حصارهم لهم "[186] ، أما وليم الصورى فيذكر أن أمير أنطاكية " قبل من المحاصرين مبلغا من المال لا نعرف مقداره ، ورفع الحصار "[187] . أما أرنول فيلقى المسؤلية على كونت فلاندرز ، وآخرون على أمير أنطاكية وطرابلس[188] ، ومهما كان الشخص الذي قبل تلك الرشوة إلا أنها لاشك قد نجحت فى إنهاء واحدة من أهم الحملات الصليبية آنذاك لأن صلاح الدين كان يعانى من آثار هزيمة الرملة السابقة[189] ، وعلى الرغم من ذلك فإن صلاح الدين وجه اللوم إلى أخيه تورانشاه عندما صانع الفرنج بالمال وقال له " أنت مشغول باللعب وتضييع أموال المسلمين "[190] غير أن العماد الكاتب برر استخدام هذه الأموال وأنها كانت سبباً فى " ما أمنت به البلاد من مضراتهم وسلمت به الغلات من غاراتهم "[191] . أما وليم الصورى فلم يشر إلى قبولهم للرشوة وذلك لأن الصليبيين

---

(١٨٥) العماد الكاتب (عماد الدين الأصفهانى) : البرق الشامى ، تحقيق الدكتور مصطفى الحيارى ، عمان ١٩٨٧ ، ص ٥٤ .

(١٨٦) المصدر السابق ، ص ٧٨٠ .

(١٨٧) نفسه .

(١٨٨) رانسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ٦٧٠ - ٦٧١ .

(١٨٩) وقعت هذه النوبة أو الوقعة أثناء خروج صلاح الدين عند الرملة وكاد يفقد حياته وذلك فى أول جماد ثان ٥٧٣ هـ / ٢٥ نوفمبر ١١٧٧ م . أنظر عن تفاصيل الوقعة فى العماد الكاتب : البرق الشامى جـ ٣ ، ص ٣٦ - ٤١ ؛ أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ ؛ سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(١٩٠) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

(١٩١) العماد الكاتب : البرق ، جـ ٣ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

حصلوا على غنائم كثيرة فى هذه الوقعة وبالتالى لم يحاول أن يبرر الحادثة [١٩٢] .

عندما علم الفرنج بخروج صلاح الدين إلى بلاد الشام فى عام ٥٧٨ / ١١٨٢ م قرروا الخروج لاعتراضه ، واستغل الملك المنصور عز الدين فرخشاه ذلك فقام بالإغارة على بلادهم الخالية ، ونجح فى ضم حصن حيس جلدك من أعمال طبرية على الطرف الجنوبى لنهر اليرموك . وكان منه على المسلمين أذى شديد [١٩٣] . ويوجه وليم الصورى اتهاماً إلى حامية الحصن والتى كانت من السريان بأنها سلمته " مقابل مبلغ من المال [١٩٤] ، وتم توجيه اللوم إلى فولك صاحب طبرية الذى عين مثل هؤلاء فى موقع هام مثل هذا [١٩٥] . وبعد نجاح صاحب طبرية فرخشاه فى ذلك تمكن من اللقاء بصلاح الدين وتوجها معا إلى دمشق حيث وصلاها فى صفر ٥٧٨ هـ / يونيو ١١٨٢ [١٩٦] .

---

(١٩٢) المصدر السابق ، ص ٩٨٦ .

(١٩٣) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ - ١١٥ . ويذكر بنفنستى Benvenisti أن هذا الحصن كان يحرس الطرق عند وادى اليرموك ويشرف على بلاد المسلمين . أنظر :

P. 293 - 294 .

(١٩٤) وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٩ - ١٠٤٠ .

(١٩٥) تجدر الإشارة إلى أن وليم الصورى أخطأ فى ذكر أن صلاح الدين هو الذى استولى على الحصن . أما السبط فيذكر أنه تم فتحه " وقتل من فيه " . أنظر المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

(١٩٦) محمد بن تقى الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق د. حسن حبشى ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٩٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١١٠ - ١١١ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

عمل صلاح الدين على توحيد الجبهة الإسلامية وأراد أن يستغل الانقسام الموجود بين عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وأخيه عماد الدين زنكى صاحب حلب . ويعترف وليم الصورى ببراعة صلاح الدين فى التفكير عندما اعتقد الجميع أنه سوف يذهب إلى حلب لكنه عبر الفرات لاخضاع عدد من المدن يتيح له بعدها السيطرة على الموصل . ويوجه وليم اتهامه إلى أن هؤلاء الأمراء تلقوا رشاوى بعد أن أغراهم صلاح الدين " بسخائه الوافر " واستلم قلاعهم ونجح فى كسب ولائهم لنفسه [١٩٧] . وفى الواقع أن صلاح الدين لجأ إلى ضمان ولاء هذه البلدان بوسائل شتى ، فبذل البذول لهم لنصرته [١٩٨] ، وأعفى بعضا منها من المكوس والضرائب ، وبذل العدل الواسع والاحسان إلى أهلها ، " وسيرت هدايا وتحف وعطايا " [١٩٩] ، وكان صلاح الدين مدركاً لأهمية الأموال فى حملته هذه فأمر " بحمل ما هنالك من الأموال فكلما فتحت البلاد أبوابها قد فتحت المطامع أفواهها " . ويذكر وليم أيضا أن الكرم والسخاء كان أكثر الوسائل لجذب العقول " وما من شىء كالكرم يجذب بسهولة أكبر عقول الغرباء خاصة عندما يأتى من الأمراء " [٢٠٠] .

وفى رسالة لصلاح الدين أرسلها إلى الخليفة العباسى اتهم المواصلة بأنهم عقدوا مع الصليبيين " عقد أشهده من هو حاضره ونقله إلى من سمعه من هو ناظره وكان عقدهم إحدى عشرة والمستقر لهم فى كل سنة عشرة آلاف دينار على أن تسلم ثغور المسلمين إلى الكفار منها بانياس وشقيف

(١٩٧) المصدر السابق ، ص ١٠٤٨ - ١٠٤٩ .

(١٩٨) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٨ ، ص ٣٨٢ .

(١٩٩) محمد بن تقى الدين : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ، ١١١ .

(٢٠٠) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ؛ وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٩٧٨ - ٩٧٩ .

تيرون وحبيس جلدك وأسارى الفرنج فى كل بلدة بأيديهم وفى كل بلد يسترجعونه من الخادم مساعدة الفرنج " (٢٠١) . وفى الواقع يجب التريث عند نص هذا الخطاب ، فوليم الصورى لم يشر اليها على الرغم من اطلاعه على هذه الحملات ، كما أنه اذا كان الهدف كما ذكر صلاح الدين فى رسالته شغله من جانب والصليبيين من جانب أخر ، فقد أكد وليم أن تحركاتهم ضد دمشق والمناطق الأخرى أثناء وجود صلاح الدين كانت " دون سبب واضح " ، بل إنها ربما كانت ردا على احتقار صلاح الدين لهم ، لأنه رجل " دون الدخول فى هدنة أو معاهدة مع الملك " (٢٠٢) . وتؤكد المصادر العربية نية صلاح الدين المسبقة لضم حلب والموصل وغيرهما ، فقد وصلته استغاثة من بعض الأمراء " فقد أنهى إليه من أغراه بها وحث عزمه فحث على طلبها " (٢٠٣) . وكان ذلك بعد عودته من طبرية فى ١٤ ربيع أول ٥٧٨ هـ/١٨ يوليو ١١٨٢ م . وأورد أبو شامة ووليم الصورى إستعداده لذلك ، ولكن يبدو أن الأمر اختلف بعد وصول الأسطول المصرى إلى بيروت فى ربيع ثان / أغسطس من نفس العام ، فقد وصل إليه خطاب مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين مقطع حران يخبره بعبور الفرات لضم المدن السابقة بدلاً من إضاعة الوقت أمام حلب أو الموصل (٢٠٤) ويذكر ابن شداد أنه حاصر حلب لمدة ثلاثة أيام فى ١٨ جماد أول / ١٩ سبتمبر ثم عدل عن ذلك طالباً الفرات ، وأثناء ذلك أرسل صلاح الدين الخطاب المشار إليه أثناء وجوده عند

---

(٢٠١) أبو شامه : جـ ٢ ، ص ٣١ .

(٢٠٢) المصدر السابق ، ص ١٠٤٩

(٢٠٣) العماد الكاتب : البرق الشامى ، جـ ٥ ، تحقيق وتقديم الدكتور فالح صالح حسين ، عمان ، ١٩٨٧، ص ١٧ . وأشار وليم أيضا هل كان ذلك بدافع شخصى أم تلبية لطلب الأمراء .

(٢٠٤) أشار محمد بن تقى الدين إلى أن الرسالة وصلته عندما كان متوجها إلى حلب . أنظر : المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

البيرة (٢٠٥) . وربما أراد صلاح الدين أن يوجد عذر عند حصاره للموصل بعد أن قام المواصلة بإرسال مبعوث إلى الخليفة العباسى لنجدتهم (٢٠٦) .

استمر صلاح الدين فى محاولاته لحصار الصليبيين مستخدما فى ذلك كافة الوسائل لتحقيق هدفه ، فقد استخدم الرشوة أو الهدايا مع بعض منهم للحصول على معلومات من ناحية ، وإحداث الوقيعة فيما بينهم من ناحية أخرى (٢٠٧) ، ومن بين هولاء كانت سيبلا زوجة بوهمند الثالث أمير أنطاكية فقد كان السلطان " يكرمها لذلك ويهدى إليها أنفس الهدايا " ، بل إنه أطلق لها أقارب وكانوا فى الأسر بعد سقوط حصن برزيه فى قبضته فى عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م (٢٠٨) . ويشير رانسيمان أن ما ثار من مشاكل حولها فى أنطاكية لكونها الزوجة الثانية لبوهمند ، يرجع أساساً إلى كراهية النبلاء لها لصلتها بصلاح الدين حيث " كانت تراسله وتعلمه بالأمور التى تؤثر " (٢٠٩) ، وكان ذلك

---

(٢٠٥) ذكر رورشت إحتمالاً لهذا الخطاب فى نوفمبر ١١٨٢ م / رجب ٥٧٨ - وهو تاريخ متأخر ، فقد ذكر ابن شداد أن صلاح الدين عدل عن حصاره عن حلب الذى كان فى ٢١ جماد أول / ٢٢ سبتمبر وتوجه نحو الفرات وأرسل خطابه هذا عندما توجه إلى البيرة ، ولذا فالتاريخ الثانى هو الأصح .

أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ٩٤ ؛

Rohricht , Geschichte , P. 399

(٢٠٦) كان ابن شداد هو المبعوث للخليفة العباسى ، ص ٩٥ ، كذلك : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٧٧٦ - ٧٧٩ .

(٢٠٧) عن علاقة صلاح الدين بهمفرى كافل المملكة أنظر وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ٩٨٣ .

(٢٠٨) ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٥ .

(٢٠٩) أبو شامة: المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص١٧٣ وليم الصورى : المصدر السابق ، ص ١٠٢٤ - ١٠٢٥ ؛

Bar Hebraeus , op. cit. , PP. 310 - 311 , Hamilton , op. cit. , PP. 46 - 47 .

مثال من ضمن أمثلة عديدة استخدمها صلاح الدين لإحداث الفرقة بينهم ولاشك أن ذلك ترك أثره عليهم .

وفى السابع والعشرين من رجب ٥٨٣ هـ / الثانى من اكتوبر ١١٨٧ جاءت نهاية هذه المملكة الصليبية التى اتخذت من القدس حاضرة لها . وانفرد تاريخ بطاركة الإسكندرية بأن الأرثوذكس الموجودين فى داخلها تآمروا مع صلاح الدين للسماح له بدخولها . ويذكر أن زعيمهم يوسف بابيط وثق فيه صلاح الدين واتخذه مستشاراً له فى معاملاته مع الفرنج (٢١٠) . وفى الواقع فإن المصادر العربية أو غير العربية لم تشر إلى هذه الرواية ، وإنما أشارت فقط إلى أن صلاح الدين سمح للنصارى - الذين ليسوا من الفرنج - بالبقاء فى مساكنهم مقابل دفعهم للجزية المقررة عليهم (٢١١) " وأكثر بأيديهم القمامة (كنيسة القيامة) وعينوا أماكن يزورنها " (٢١٢) . أما السيوطى فيذكر أنهم دفعوا أموالاً للسماح لهم بالبقاء (٢١٣) . ومن خلال هذه الروايات يتبين أن هؤلاء النصارى لو قدموا المساعدة لصلاح الدين لدفع لهم ثمن ذلك ولكن لم نجد ذلك فى المصادر المتاحة بين أيدينا .

وعقب الاتفاق الذى تم بين صلاح الدين والصليبيين للسماح لهم بالخروج من القدس والذى بموجبه تم الاتفاق على أن يدفع الرجل عشرة دنانير

---

(٢١٠) رانسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٥١ - ٧٥٤ ، ح [١] ؛
Hamilton , op. cit. , PP. 186 - 187 .

(٢١١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢١٢) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ .

(٢١٣) السيوطى (أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد) : أتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق د. أحمد رمضان ، ق ١ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٦١ .

والمرأة خمسة ودينار للطفل . ورتب صلاح الدين على الأبواب من يقومون بجمع هذه الأموال ، ولكن لم يحدث التزام بذلك . ويعطي لنا العماد الكاتب وصفا رائعا لذلك بقوله :

" ولو حفظ ذلك المال حق حفظه لفاز منه بيت المال بأوفر حظه لكن تم التفريط وعم التخليط فكل من رشا مشى وتنكب مناهج الرشد بالرشا . فمنهم من أدلى من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيا في الرحال ومنهم من غيرت لبسته فخرج مخفيا بزى الجند ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد "(٢١٤) .

---

(٢١٤) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ، وكذلك : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ . وكذلك حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التهوتون ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٧٦ ، ح [٦٤] .

الخاتمة

تساقطت المدن والقلاع الصليبية عقب سقوط بيت المقدس فى قبضة صلاح الدين الأيوبى ، ولم يتبق منها سوى صور وطرابلس وأنطاكية من المدن الكبرى بالإضافة إلى بعض القلاع المتناثرة . ولم تنجح الحملة الصليبية الثالثة سوى فى إستعادة أجزاء ضئيلة قامت فيها مملكة بيت المقدس الإسمية والتى اتخذت من عكا حاضرة لها . وخلال الفترة التالية وحتى نهاية الوجود الصليبى فى الأراضى المقدسة فقد اختلفت أنماط المجتمع الصليبى الجديد وفئاته نتيجة لعوامل عديدة ليس هنا مجال التعرض لها .

وفى الواقع ومن خلال الدراسة السابقة ظهر بوضوح كيف أثرت هذه الظاهرة – الرشوة – فى هذا المجتمع الصليبى منذ بداية خروج الحملات وحتى سقوط بيت المقدس . وأثرت بشكل مباشر على كثير من أحداث الصراع بين الجانبين ، بل أنها غيرت كثيرا من نتائجه بشكل غير متوقع . فعلى سبيل المثال لا الحصر رأينا كيف أثرت الرشوة على أحداث الحملة الصليبية الثانية ، وعلى حملات عمورى فى مصر وعلى الحملة البيزنطية فى عام ١١٣٨ / على شيزر ، وكذلك الحملة الصليبية البيزنطية على دمياط فى عام ١١٦٩ م ، وغيرها من الحملات الأقل . ولم يكن تأثير الرشوة على نتائج هذه الحملات فقط ، بل أيضا على موازين الصراع الصليبى الإسلامى ، فنجد أن نور الدين محمود ينجح فى ضم دمشق عن طريق الهدايا والوعود فى عام ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ ، ونجح نجم الدين أيوب فى الحفاظ عليها برشوة للصليبيين فى عام ١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ بينما كان نور الدين محمود مشغولاً فى الشمال . أما ضم مصر وقيام الدولة الأيوبية بها فقد سبقه تقديم رشاوى للصليبيين بلغت فى أثناء حملات عمورى تقديم أكبر مبلغ للرشوة وهو مليونا قطعة ذهبية أسالت لعاب عمورى ووقع فى الفخ لحين وصول قوات نور الدين

إلى مصر ولكنه فى النهاية لم يحصل سوى على مائة ألف وهى لا تقارن بأى حال من الأحوال مع نجاح نور الدين فى ضم مصر ثم قيام الدولة الأيوبية .

ولم تقتصر الرشوة على التأثير فى المعارك والحملات العسكرية ، بل استخدمت أيضا فى محاولات الاغتيال والتخلص من القادة المؤثرين فى أحداث هذا الصراع الصليبى الإسلامى مثل شرف الدين مودود وبلدوين الأول وجوسلين الثانى وصلاح الدين الأيوبى . كما استخدمت السيمونية أو شراء المناصب الدينية فى نفس الفترة ووجهت اتهامات إلى عدد من البطاركة بهذه التهمة مثل دايمبرت البزوى ورالف أوف دمفرنت وايمرى أوف ليموج ، بل وجه البعض اتهامات بالرشوة إلى الكرادلة فى روما والبابا أدريان الرابع نفسه .

وعلى الرغم من كثير من المزاعم التى يقدمها كثير من مؤرخى الحروب الصليبية الغربيين من أن هؤلاء الصليبيين هم " رواد عظمة الغرب " وأن هذه الممالك قد ازدهرت فيها العدالة والحرية فإن ذلك كان ينكشف أمام ما أوردناه فى الصفحات السابقة . فقد سيطر الجشع والطمع على عقول هؤلاء وقلوبهم منذ خروجهم فى الحملة الأولى وبات ذلك واضحا عبر أحداثها ، وأعمى - بريق الذهب والفضة والأموال والخيول وغيرها من الرشاوى المختلفة التى قدمت لهم - أبصارهم ، فقام هذا المجتمع على غير أساس . بل ان الذين استطابوا الحياة فى الشرق وتأثروا به لم يتحملوا الوافدين الجدد ، وعملوا على إعادتهم إلى الغرب بعد الاستفادة منهم فى تحقيق مصالحهم الشخصية فحسب . ويسجل اكهارد دى أورا بأن هؤلاء جميعا " تخلوا عن أموالهم بالذات وسعوا بطمع وراء أموال الغير "(٢١٥) ، وتصح عبارته وتكون دقيقة اذا كان لديهم هذه الأموال بالفعل .

---

(٢١٥) زابوروف : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

لقد تهاوى هذا المجتمع بجميع فئاته وطبقاته وسقط فى شباك الرشوة التى نصبها لهم المسلمون الذين نجحوا فى كشف ذلك القناع الزائف عن هذا المجتمع . ولم يسلم المؤرخون من ذلك أيضا ، فمؤلف أنشودة أنطاكية جريجورى بشاده طلب " زوج من الأحذية القرمزية " حتى يضيف اسم أحد النبلاء فى أنشودته كى يمجده ضمن المشاركين فى الحملات الصليبية !! (٢١٦) ولابد أن تكون نهاية هذا المجتمع كما رأينا على الرغم من الإدعاءات الصليبية عنه .

" تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون "

" جزء من آية ١٤ من سورة الحشر "

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(٢١٦) رالى سميث : الحملة الصليبية الأولى ، ص١٣٣ ؛ رانسيمان: المرجع السابق ، جـ ١ ، ص٤٩٦ .